المباحـث البلاغيَّـة في التفسير القَيِّم للإمـام ابن قَيِّم الجوزيـة (ت ٧٥١هـ)

أ.م.د. عقيـد خـالد حمـودي
كلية التربية / قسم علوم القرآن الكريم

المقدمـة

الحمد لله الذي خلق الإنسان ، علَّمه البيان ، وصلى الله على سيدنا محمد العدنان ، وعلى آلهِ وصحبهِ ومن تبعهم بإحسان.

أما بعد ...

فمما لاشك فيه إنَّ إيضاح معاني القرآن هو ما توخَّاه معظم المفسرين والمعربين ، الذين أغنوا التراث العربي بالمؤلفات الجمَّة في النحو والمعاني والتفسير ، فضلاً عن بيان الصلة الأكيدة بين القرآن وعلوم العربية ، هذه الصلة التي هي أكبر قيمة للغة العربوما عَرَفَ العالمُ أعمق أثراً من هذه الصلة ؛ فإنَّ أولى ما تقترحه القرائح ، وأعلى ما تجنحُ إلى تحصيله الجوانح ، ما يشير به فهم كتاب الله المنزَّل والوقوف على المعاني البليغة التي جاء عليها[1] .

ومن الواضح أنَّ خدمة القرآن الكريم كانت الباعث وراء تطور علومه ونهضتها ، وعلوّ العربية ، فمن أحبَّ العربية عُني بها ، وثابر عليها ، وصرف همَّته إليها .

---

(١) مقدمة إعراب القرآن الكريم وبيانه ، لمحيي الدين الدرويش: ٧.

ومن المؤكد أنَّ البلاغة ذات علاقة وثيقة بعلوم متن اللغة والنحو والصرف ، فتلك العلوم العربية أوضح ما تكون للمتأمل ، ولكن علوم البلاغة إنما اختصت بجانب آخر وهو جانب الاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد ، ومن هنا نشأ علم المعاني ، وكذلك الاحتراز عن التعقيد المعنوي – ومن هنا نشأ علم البيان –وإلى المحسنات اللفظية ، ومن هنا نشأ علم البديع .

وليس ثمة أنفع للإنسان من دراسة القرآن الكريم دراسة لغوية بلاغية ، لتحصيل علوم البلاغة ، بل وعلوم العربية كلها ، فضلاً عن الهداية والاسترشاد اللذين هما مقصودا القرآن الأول .

لكل هذه الأسباب اخترت عنوان «المباحث البلاغية في التفسير القيم لابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)» موضوعاً للبحث والدراسة ، لاستحقاق دراسة المؤلَّف والمؤلِّف ، لما يمتازان من قيمة علمية جليلة وعظيمة. وخدمة لتراث الأمة وكتابها الخالد .

ووجدت أنَّ مادة (التفسير القيم لابن القيم)قد جُمعت على يد العلاَّمة المحقق الشيخ محمد أويس الندوي ؛ إذ بذل فيه جهداً مشكوراً قرأ المطبوع من مؤلفات الإمام الحافظ شمس الدين ابن القيم ، ثم استخرج منها هذه المجموعة القيمة من التفسير وهي –وإن كانت لم تستوعب تفسير القرآن كله ، ولكنها تعدّ إنموذجاً صالحاً ينتفع به ، ويحذو حذوه من يسلك هذا المنوال – إن شاء الله – .

لذلك السبب اقتصرت في دراستي البلاغية في التفسير القيم على بعض المباحث وليس كلها ، وسارت خطة البحث أن أقرأ التفسير القيم وأجرد محتواه وربطه بالأساليب البلاغية المتنوعة ما بين علوم المعاني والبيان البديع.

وكانت المنهجية في البحث أن أبدأ بعرض ما ذكره ابن القيم بعدها أذكر الآية القرآنية الكريمة التي تمثل الأسلوب البلاغي المدروس كل بحسب ما يقع ضمنه من علم بلاغي ، وبعدها عرض آراء من سبق الإمام ابن القيم وما لحقه من علماء ومفسرين ، وأود الإشارة إلى إنَّ من ضمن الأمثلة المدروسة لمادة البحث، نجد فيها أنَّ ابن القيم قد اقتصر على ذكره لآرائهِ ، وتفسيره من دون الإشارة إلى تفسير سابقيهِ ، ولم يستشهد بأقوالهم في التفاسير المؤلفة في علوم القرآن.

وبدأت أعمل ضمن الخطة التي رسمتها ، فكان منهجي في هذا البحث أن قسَّمت مادته على ثلاثة مباحث مسبوقة بتمهيد احتوى على جانبين :

الأول: ترجمة حياة ابن قيم الجوزية .

والثاني: مؤلفاته ما بين مطبوع ومخطوط.

أما المبحث الأول فكان عنوانه « علم المعاني في التفسير القيم » بحثت فيه ما يخص بعض مباحث علم المعاني المتنوعة ما بين التقديم والتأخير وبعده التعريف والتنكير ، والخبر والإنشاء ، والقصر والحصر.

والمبحث الثاني كان بعنوان (علم البيان في التفسير القيم) وتنوعت مادته بما انحصر به علم البيان في التشبيه والاستعارة والمجاز والكناية ، مع الأخذ بالحسبان أنني اكتفيت بالغرض بصورة عامة من دون الغوص بتفاصيله وأقسامه.

وجاء المبحث الثالث بعنوان (علم البديع في التفسير القيم) شاملاً أكثر أساليب مباحث المحسنات كـ« الطباق ، والمقابلة ، ومراعاة النظير ، والمشاكلة

، والتجنيس ، وتأكيد المدح بما يشبه الذم ، والفاصلة القرآنية ، وحسن الاختصار والإيجاز ، فضلاً عن بديع القياس والتمثيل.

وختمت هذه المباحث بخاتمة ذكرت فيها أبرز النتائج التي توصلت إليها.

وجاء بعدها ثبت بمصادر البحث ومراجعه .

وواضح من عنوان البحث أنّ كتاب التفسير القيم لابن القيم هو المصدر الرئيس الذي أقمت عليه البحث ، فضلاً عن هذا رجعت إلى مصادر عديدة ومراجع متنوعة ، اعتمدت عليها في مباحث البحث ولاسيما كتب البلاغة فضلاً عن التفاسير.

ثم رجعت إلى عددٍ من الأطاريح والرسائل الجامعية وكلها تدور في فلك البلاغة واللغة مما يجده القارئ مثبتاً في ثبت المصادر والمراجع.

التمهيد

(التعريف بابن القيم ومؤلفاته)

ابن قيم الجوزية

- اسمهُ:

هو محمَّدُ بنُ أبي بكر بن أيوب بن[1] حريز الزُّرْعِي الدّمشقي ، شمس الدِّين ، أبو عبد اللهِ ، الشهير بابن قيم الجوزية.

- لقبهُ:

لُقِّبَ بالزُّرعي نسبةً إلى (زُرْع) قرية من قرى حوران في سورية، كانت تُسمَّى سابقاً (زُرا) كما ذكرَ ياقوت[2] في قولهِ:

«زُرا ، قالَ الحافظ أبو القاسم الدِّمشقي علي بن الحسين بن ثابت بن جميل أبو الحسن الجُهَني الزُّري ، الإمام من أهل (زُرَّا) التي تُدعَى اليومَ (زُرْع) من حوران» فلُقِّبَ بهذهِ القريةِ ، لأنَّ عائِلتَهِ نَشأت بِها.

- كنيتهُ:

كُنِّيَ بابن قيم الجوزية ، لأنَّ أباهُ كانَ قيِّماً على المدرسةِ الجوزية التي بناها أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي الحنبلي المتوفى سنة(٥٩٧هـ) . وكان

---

(١) ترجمته في البداية والنهاية لابن كثير الدمشقي: ٢٣٤/١٤ ، والدرر الكامنة: ٢١/٤ ، وبغية الوعاة في طبقات النحاة: ٦٢/١ ، والأعلام: ٢٨٠/٦ ، وتاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان: ٢٤٥/٣.

(٢) معجم البلدان: ١٣٥/٣.

شمس الدِّين بن قيم الجوزية إماماً بالمدرسةِ الجوزية ، ومدرساً بالمدرسةِ الصدرية [١] .

– ولادتهُ:

ولِدَ ابن القيم الجوزية في السابع من شهر صفر سنة إحدى وتسعين وستمائة للهجرة النبوية الشريفة ، في دمشق ، وربَّاه أبوهُ وعلَّمهُ ، فنشأ في أسرةٍ علميةٍ ، مما جعلهُ يحب العلم والمعرفة [٢] .

– شيوخهُ:

إنَّ مستقبل الشخص العلمي يعتمدُ على مَنْ يبثُّ فيهِ روحَ العلمِ والمعرفةِ ، وكانت دمشقُ في تلك الفترةِ مليئةٌ بالعلماءِ ، وقد تلقَّى ابنُ القيم تعليمه على أشهرهِم فكانَ ذلكَ عاملاً مهماً في تقدمِه العلمي والأدبي ، فقد درسَ على أبي بكر بن عبد الدائمِ ، وعيسى بن المطعم ، وابن الشيرازي ، وإسماعيل بن مكتوم ، والقاضي تقي الدِّين سليمان ، والشهاب النابلسي ، وأبي الفتح ، والمجد التونسي ، والمجد الحرّاني ، ولازمَ الشيخ ابن تيمية مدة ستة عشر عاماً ، وأخذَ عنهُ كثيراً من الآراء العلمية التي عرفت عنهُ بعدَ ذلك [٣] .

---

(١) هي مدرسة أوقفها صدر الدين بن المنجا التنوخي (ت بعد ٦٣٠هـ) . ينظر: الأمثال في القرآن: ٢٥ و٤٦ ، وابن قيم الجوزية الأديب النحوي: ١٩.

(٢) البداية والنهاية في التاريخ: ٢٣٢/١٤ ، والوافي بالوفيات: ٢٧١/٢ ، وبغية الوعاة: ٦٢/١.

(٣) ينظر: بغية الوعاة: ٦٢/١ ، وأمثال القرآن: ٢٦.

– تلاميذه:

بعدَ أن استقَى معرفَتَه مِنَ العلماء المشهورين ، نمت مداركهُ ، وكثرت مؤلفاتهُ ، فقصده الطلبةُ ، للاغترافِ من علمهِ ومعرفتهِ ، وتحلَّقُوا حولَهُ للاستفادةِ من جهودهِ العلميةِ [1] .

فدرسَ عليهِ الحافظُ زين الدِّين عبد الرحمن بن رجب ، صاحب طبقاتِ الحنابلة ، وشمسَ الدِّين محمدُ بن عبد القادر النَّابلسي ، مؤلف مختصر طبقات الحنابلة لأبي يعلى ، وإسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي ، صاحب كتاب البداية والنهاية ، وقد أشادَ [2]بهِ في كتابهِ المذكور ، وابن الهادي الذي أخذ عنهُ علماً كثيراً.

وقد استفاد منهُ ولدهُ عبدُ اللهِ ، وقد خلفهُ بالتدريس في المدرسة الصدرية بعد وفاتهِ [3] .

– مؤلفاته:

كانَ ابنُ قيم الجوزية عالماً فاضلاً كثيرَ المعرفةِ واسعَ الاطلاعِ ، مولعاً بقراءةِ الكتب واقتنائها، فحصلَ لهُ مِن ذلكَ ثقافةٌ واسعةٌ ، وقدرةٌ على التأليفِ ، وقد خلَّفَ لنا مكتبةً كبيرةً في مختلف العلومِ ، نذكر منها ما توصَّلنا إلى معرفتهِ من المطبوعات والمخطوطات [4] وهي كما يأتي [5] :–

(١) ينظر: ذيل طبقات الحنابلة: ٤٤٨/٢. وينظر: أمثال القرآن: ٢٦ وما بعدها.

(٢) البداية والنهاية في التاريخ: ٢٣٥/١٤.

(٣) ينظر: شذرات الذهب: ١٦٩/٦ ، أمثال القرآن: ٢٧.

(٤) ينظر: الجواب الكافي : ٥٩ ، وأمثال القرآن: ٢٧.

(٥) هذا بناءً على جهد مؤلف كتاب ابن القيم الجوزية حياته وآثاره: ١١– ٢٩.

١. اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية ، طبع بالقاهرة ، وفي الهند ١٣١٤هـ.
٢. أخبار النساءِ ، طُبِعَ في القاهرة سنة ١٣٠٧هـ ، ١٣١٩هـ.
٣. أعلام الموقعين ، طبع مع كتاب حادي الأرواح ، في القاهرة سنة ١٣٢٥هـ.
٤. إغاثة اللهفان في حكم طلاق الغضبان ، طبع في القاهرة سنة ١٣١٨هـ.
٥. إغاثة اللهفان في مصائد الشيطان ، طبع في القاهرة سنة ١٣٢٠هـ.
٦. التبيان في أقسامِ القرآن ، طُبِعَ في مكة المكرمة سنة ١٣٢١هـ.
٧. التحرير فيما يحل ويحرم من لباس الحرير ، طبع في جامعة الملك محمد بن سعود الإسلامية سنة ١٤١٠هـ .
٨. التحفة المكية ، غير مطبوع.
٩. الجواب الكافي لمن سألَ عن الدواء الشافي ، ويسمَّى (الداء والدواء) طُبِعَ بالقاهرة سنة ١٣٢٢هـ.
١٠. الرسالة الجلية في الطريقة المحمدية. (نظم) شعر طبع في جامعة أم القرى ، رسالة دكتوراه ، لسنة ٢٠٠٢.
١١. السنة والبدعة ، مطبوع في مصر سنة ١٩٨١.
١٢. الصبر والسكن ، غير مطبوع.
١٣. الصراط المستقيم في أحكام أهل الجحيم ، مطبعة مصر ، ١٤٢١هـ.

١٤. الصواعق المرسلة على الجهمية [١] والمعطلة ، طبع في المدينة المنورة سنة ١٣٢٢هـ.
١٥. الطاعون ، غير مطبوع.
١٦. الطرق الحكيمة في السياسة الشرعية ، طبع في القاهرة سنة ١٣١٧هـ.
١٧. الفتح القدسي ، طبع في دمشق سنة ٢٠٠٢.
١٨. الفرق بين الخِلَّة والمحبة ومناظرة الخليل لقومهِ ، مطبعة دمشق ، سنة ٢٠٠٠.
١٩. الفروسية المحمدية [٢] ، طبع في المدينة المنورة سنة ١٣٢١هـ.
٢٠. الفوائد ، طبع في مصر سنة ١٣٤٤هـ.
٢١. الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان ، طبع في القاهرة سنة ١٣١٨هـ.
٢٢. القصيدة النونية، وهي التي سماها الكافية في الانتصار للفرقة الناجية، طبع في المطبعة الخيرية في القاهرة سنة ١٣١٩هـ.
٢٣. الكافية الشافية في النحو ، مطبوع دار مصر للطباعة ، وأعادته دار صادر للطباعة ١٩٩٨ ، بيروت.
٢٤. الكبائر ، طبع في بيروت ، ١٩٨٣.
٢٥. الكلم الطيب والعمل الصالح ، غير مطبوع.
٢٦. المسائل الطرابلسية ، مطبوع ، مطبعة دمشق سنة ١٩٩٩.

(١) الدرر الكامنة: ٢٢/٤.
(٢) مقدمة كتاب روضة المحبين ونزهة المشتاقين.

٢٧. المنار ، نُشِرَ في مجلة الهدي النبوي القاهرية ، المجلد الحادي والعشرون ، والأعداد (٢-٧) سنة ١٣٧٦هـ.

٢٨. المهدي ، غير مطبوع.

٢٩. المهذب ، غير مطبوع.

٣٠. الهدي السوي ، غير مطبوع.

٣١. الوابل الصيِّب من الكلم الطيِّب ، طبع في مصر ضمن مجموعة الحديث النجدية ، سنة ١٣٤٢هـ.

٣٢. أمثال القرآن [(١)] ، وهو الكتاب الذي حققه د. موسى بناي علوان العليلي ١٤٠٧هـ.

٣٣. إيمان القرآن ، غير مطبوع.

٣٤. بدائع الفوائد ، طبع في مصر ١٣٢١ .

٣٥. بطلان الكيمياء من أربعين وجهاً ، غير مطبوع.

٣٦. بلوغ السؤل من أقضية الرسول ، طبع في الهند طبعة حجرية سنة ١٢٩٢هـ.

٣٧. بيان الاستدلال على بطلان محلل السباق ، غير مطبوع.

٣٨. بيان الدليل على استغناء المسابقة عن التحليل ، غير مطبوع.

٣٩. تحفة المودود في أحكام المولود ، طبع في لاهور ، الهند سنة ١٣٣٩هـ.

---

(١) ذكر في شذرات الذهب: ١٧٠/٦ ، وفي مقدمة كتاب روضة المحبين ونزهة المشتاقين.

٤٠. تفسير الفاتحة ، مطبوع ضمن رسائل جامعية في جامعة أم القرى لسنة ٢٠٠٨.
٤١. تفسير المعوذتين ، طبع [١] في مصر.
٤٢. تفضيل مكة على المدينة ، طبع في دار أم القرى سنة ١٤١١هـ.
٤٣. تهذيب سنن أبي داود ، وإيضاح مشكلاته والكلام على ما فيه من الأحاديث المعلولة ، طبع في مصر (د. ت.) .
٤٤. جلاء الأفهام في ذكر الصلاة والسلام على خير الأنام وبيان أحاديثها المعلولة ، طبع [٢] في الهند.
٤٥. جوابات على عابدي الصلبان وأن ما هم عليه من دين الشيطان ، غير مطبوع.
٤٦. حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ، في التصوف ، طبع في مطبعة الكردي ، القاهرة ١٣٢٥هـ.
٤٧. حُرمة السماع ، غير مطبوع.
٤٨. حكم تارك الصلاة ، طبع مع كتاب الصلاة وما يلزم فيها للإمام أحمد بن حنبل باسم الصلاة وأحكام تاركها سنة ١٣٣٣هـ ، في الهند ، وفي مصر سنة ١٣٤٢هـ.
٤٩. حكم غمام هلال رمضان ، مطبعة الرياض ، ١٤٣٣هـ.
٥٠. رفع التنزيل ، غير مطبوع.

(١) ينظر: المصدر السابق نفسه.
(٢) ينظر: روضة المحبين ونزهة المشتاقين المقدمة.

٥١. رفع اليدين في الصلاة [١] ، طبع في دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٩٧.
٥٢. روضة المحبين ونزهة المشتاقين ، طبع في دمشق سنة ١٣٤٩هـ.
٥٣. زاد المسافرين إلى منازل السعداء في هدي خاتم الأنبياء ، غير مطبوع.
٥٤. زاد المعاد في هدي خير العباد (حديث) ، طبع في القاهرة سنة ١٣٢٤هـ.
٥٥. شرح أسماء الكتاب العزيز ، طبع في مصر ، ١٤٢٢هـ.
٥٦. شرح الأسماء الحسنى ، مطبوع في مصر سنة ١٤١١هـ.
٥٧. شفاءُ العليل في القضاءِ والقدرِ ، طبع سنة ١٣٢٣هـ.
٥٨. صفة الجنة ، مطبوع ، مصر ، سنة ١٣٣١هـ.
٥٩. طب القلوب ، غير مطبوع.
٦٠. طريق الهجرتين وباب السعادتين ، طبع في مصر بهامش إغاثة اللهفان في مصائد الشيطان ، سنة ١٣٢٠هـ.
٦١. عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ، طبع في القاهرة سنة ١٣٤١هـ.
٦٢. عقد محكم الإصغاء بين الكلم الطيب والعمل الصالح المرفوع إلى ربِّ السماء (مجلد [٢] ضخم) ، مطبوع في حيدر آباد ، الدكن ، الهند (د.ت.) .
٦٣. فضل العلم ، طبع في مصر ، سنة ١٤٢١هـ.

(١) شذرات الذهب: ١٧٠/٦ ، الدرر الكامنة: ٢٢/٤.
(٢) ينظر: شذرات الذهب: ١٦٩/٦ ، ومقدمة روضة المحبين ونزهة المشتاقين.

٦٤. كتاب الروح ، طُبِع في حيدر آباد سنة ١٣١٨هـ.
٦٥. مدارج السالكين بين منازل إيَّاك نعبدُ وإيَّاك نستعين ، و هو (شرح منازل السائرين لشيخ الإسلام عبد الله بن محمد الأنصاري الهروي)، طبع في القاهرة سنة ١٣٣٣هـ.
٦٦. مدارج السالكين في منازل السائرين ، طبع في القاهرة سنة ١٣٣٣هـ.
٦٧. معاني الأدوات والحروف ، مطبوع في جامعة ليدن ، ١٩٩٣م.
٦٨. مفتاح دار السعادة ، ومنشور لواء العلم والإرادة. طُبِعَ في القاهرة سنة ١٣٢٣هـ.
٦٩. نقد المنقول والمحك المميز بين المردود والمقبول ، طبع في الرياض، ١٤٢٠هـ.
٧٠. نكاح المحرم ، طبع في المدينة المنورة ، سنة ١٤١٥هـ.
٧١. نور المؤمن وحياته ، غير مطبوع.
٧٢. هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ، طبع في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، سنة ١٣٩٦هـ.

وهناك كتب ومخطوطات فقدت ولا أثر لها ، لعل الله أن يظهرها على أيدي باحثين علماء صادقين لخدمة الإسلام والمسلمين في الأيام القادمة إن شاء الله .

– وفاته:

كان ابن القيم أحد كبار العلماء الذين اشتهروا في النصف الأول من القرن الثامن الهجري. فقد قاد حركة إصلاحية هو وأستاذه ابن تيمية ، مما دفع السلطة

الحاكمة آنذاك أن تلقي القبض عليهما ، وتشهِّر بهما ، وتلقيهما في السجن ، ولم يفرج عن ابن القيم إلاَّ بعد وفاة أستاذهِ ابن تيمية في السجن [١] .

وقد كان ابن القيم – مدة حبسه – شاغلاً وقته جميعه بقراءة القرآن الكريم [٢] ، متدبراً آياتهِ ، شاغلاً فكره بمعاني الآيات الكريمة. فانفتح له مِن ذلك خير كثير مما جعله يلحق بآفاق العلم والمعرفة وتفتح أمامه طرق جديدة في الاجتهاد [٣] .

وبعد حياة مليئة بالأحداث السياسية والاجتماعية المختلفة قضاها ابن قيم الجوزية ، توفي في ليلة الخميس في الثالث عشر من شهر رجب ، وقت أذانِ العشاءِ سنة إحدى وخمسين وسبعمائة من الهجرة النبوية الشريفة [٤] .

- قيمة كتاب (التفسير القيم) [٥] :

المعروف إنَّ علم التفسير في غنى أن يشاد بجلالتهِ ، وشدة اعتناء الأمة بهِ ، فإنه يستحق ذلك وأكثر ، لجلالة ما يضاف إليهِ ، ولكن مما تجمل الإشارة إليهِ ، في هذا المحل ، إنَّ هذا الموضوع الجليل يتطلب من المؤلف فيه مواهب ومؤهلات أوسع مما نجدها في عامة من طرق هذا الموضوع قديماً وحديثاً.

---

(١) ينظر: البداية والنهاية: ٢٣٤/١٤ ، وذيل طبقات الحنابلة: ٤٥٠/٢ ، وشذرات الذهب: ١٦٨/٦ ، والأعلام: ٥٦/٦.

(٢) ينظر: شذرات الذهب: ١٦٨/٦ وما بعدها.

(٣) ينظر: أعلام الموقعين: ١٢١/٣.

(٤) أعلام الموقعين: ١٢١/٣ ، وينظر: شذرات الذهب: ١٦٨/٦ ، وطبقات المفسرين: ٢٨٤/١.

(٥) ينظر: تقديم جامع التفسير لابن القيم ، محمد أويس الندوي: ٥-٦.

منها ، السليقة العربية ، أو الذوق الأدبي الصحيح ، الذي يتأتى معه فهم جمال القرآن وبلاغتهِ المعجزة.

ومنها: العلم الراسخ ، والنظر الثاقب في علم الدين ، لاسيما في علوم الحديث والسنة.

ومنها: الاطلاع على أسرار التشريع ومقاصده.

ومنها: الإلمام بنفسية البشر ، وطبائع الأمم ، حتى يعرف مواطن الضعف فيها ، ووجوه الشبه في مختلف أجيالها ، وأدوار حياتها.

فذلك كله مما يفتح باباً واسعاً في فهم القرآن ، وتطبيقه على أحوال العصر ، والاضطلاع بالإصلاح الديني.

ولما لم تتوافر هذه الشروط والصفات في أكثر المفسرين ، كان فن التفسير فناً قاصراً ، لا يزال في دور طفولتهِ ، حتى قال بعض النقاد:إنّ فَنّ التفسير – من العلوم الدينية – لم يحترق ولم ينضج [١] .

وممن يجب استثناؤه من هذا الإطلاق من بين المفسرين: العلامتان شيخا الإسلام ، الحافظان: ابن تيمية الحراني ، وتلميذه ابن قيم الجوزية – رحمهما الله تعالى – فقد توافرت فيهما هذه المؤهلات العلمية ، والمواهب العقلية التي تجعل من كل واحد منهما مفسراً كاملاً مستكملاً لأدائهِ وصفاتهِ ، ولكن من سوء حظ المسلمين ، أنّ كتبهما المفردة في هذا الباب كأنما طارت بها العنقاء فلم يبق منها إلا شذرات وفصول ، ورسائل صغيرة ، وأقوال منثورة ، ونُقول يتناقلها العلماء في

(١) ينظر: مقدمة في التفسير: أمين الخولي: ٢٤.

كتبهم ، أو جمل وعبارات صغيرة ، على صفحات مؤلفاتهم في موضوعات أخرى لو نظمت في سلك واحد ، لكان كتاباً قيماً في التفسير.

وعلى هذا الأساس قام الأستاذ (محمد أويس الندوي) بجمع هذه الفصول والأبواب لتصبح (التفسير القيم لابن القيم) فضلاً عن اهتمامه الكبير بكتب ابن القيم وشيخه ابن تيمية ، وحرصهِ على علومهما ؛ لذا قام بجمع الكتاب خدمة للدين والعلم ، ومساعدة لطلبة هذا العلم الشريف ، وأن يبرز من هذا الدر المنثور عقداً نظيماً فجاء جمع المادة إثر اقتناص شوارده من كتب ابن القيم ، والتقاط درره وجمعها في سفر واحد ، حتى جاء هذا الكتاب (موضوع دراستنا وبحثنا) .

ولم يكتفِ محبِّي العلم والتفسير وجمع أقوال وأبواب وفصول وشذرات ابن القيم بتفسيره ولكن قام بتحقيقه محمد حامد الفقي ، وطبع في مطبعة دار الكتب العلمية في بيروت – لبنان في سنة ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م.

والتفسير القيم لابن القيم ، يعرض لسور القرآن الكريم بدءاً من فاتحة الكتاب وانتهاءً بتفسير سورة الناس ، واقفاً بهذا التفسير على آيات معينة من كل سورة مفصلاً القول فيها وبيان حكمها الشرعي ودلالتها وألفاظها والأساليب البلاغية القيمة التي جاءت عليها.

ولم يفته ذكر الأحكام الفقهية في شرحه لآيات القرآن العظيم – وعلى سبيل المثال لا الحصر – اشتمال سورة الفاتحة على أنواع التوحيد الثلاثة ، ودلالة الحمد على توحيد الأسماء والصفات [١] .

---

(١) ينظر: التفسير لابن القيم: ٢٤ وما بعدها.

ومثال آخر في سورة آل عمران بقوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ ﴾ [آل عمران: ١٨] وتضمنها التوحيد بأربع مراتب ، علم وإخبار وبيان ، وإلزام به (١) .

ونجده يذكر معاني الكلمات مثلاً في قوله: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة: ٥] يذكر معنى الهداية (٢) .

والأوجه البلاغية تذكر عنده مرتبطة بالجانب النحوي ذلك مما أغنى التفسير وتفرده وتميزه عن غيره ، ومثال هذا ذكر ﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ في سورة الفاتحة متفرداً معرفاً تعريفين باللام وبالإضافة دون غيره في موضوع آخر كقوله: ﴿وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾ (٣) [الأنعام : ١٥٣].

(١) ينظر: المصدر السابق: ١٧٤ وما بعدها.
(٢) المصدر نفسه : ٩.
(٣) المصدر نفسه : ١٤.

المبحث الأول

علم المعاني في التفسير القيم

علم المعاني عند البلاغيين :

علم المعاني نوع من أنواع البلاغة التي تناولها البلاغيون بالدراسة والتحليل ، وهو نوع أشار إليه المصنفون القدماء وأهم ما يميز هذا النوع ارتباطه بالنظم النحوي [١] ، فالجاحظ (ت ٢٥٥هـ) يقول: «والمعاني مطروحة في الطريق ، يعرفها العجمي والعربي ، والقروي من البدوي ، وإنما الشأن في إقامة الوزن ، وتخير اللفظ ، وسهولة المخرج ، وصحة الطبع ، وكثرة الماء ، وجودة السبك» [٢] .

ويقول الجرجاني (ت ٤٧١هـ) : «وهل تجد أحداً يقول هذه اللفظة فصيحة إلا هو يعتبر مكانها من النظم ، وحسن ملائمة معناها لمعاني جاراتها وفضل مؤانستها لأخواتها» [٣].

ولعلم المعاني تعريف عند البلاغيين بقولهم: «هو علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال» [٤] .

وتعددت أنواع علم المعاني ما بين: الخبر والإنشاء ، والتقديم والتأخير ، والفصل والوصل، والتنكير والتعريف، والقصر والحصر ، والحذف والذكر [٥].

---

(١) الأساليب البلاغية في تفسير نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٢١.

(٢) الحيوان: ٣/١٣١-١٣٢ ، ودلائل الإعجاز: ١٩٢.

(٣) دلائل الإعجاز: ٣٦.

(٤) الإيضاح في علوم البلاغة: ١٢ ، وفن البلاغة: ٧٥.

(٥) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة: ١٢ وما بعدها.

وسنتطرق خلال دراستنا في التفسير القيم لابن قيم الجوزية إلى دراسة هذه الأنواع لعلم المعاني بدءاً بالخبر والإنشاء وكما سيرد الذكر.

أولاً: الخبر والإنشاء :

من المعروف أن الكلام ينقسم إلى خبر وإنشاء ، والخبر: هو ما يحتمل الصدق والكذب [١] ، والإنشاء: لا يحتمل صدقاً ولا كذباً ، لأن مضمون الكلام لا يحصل ولا يتحقق

إلا إذا تلفظت به ؛ أي :إنَّ مدلوله متوقف على النطق به [٢] .

والإنشاء ينقسم على قسمين:إنشاء طلبي ، وإنشاء غير طلبي.

والإنشاء الطلبي: هو ما يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب.

ويشتمل: الأمر – كقوله تعالى:**قُمْ فَأَنذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ**) [سور المدثر: ٢-٣-٤].

فسرها ابن القيم بقوله: «قال قتادة ومجاهد: نفسك فطهر من الذنب فكنَّى عن النفس بالثوب. وهذا قول إبراهيم والضحاك والشعبي وغيرهم» [٣] ثم يورد بعض آراء أهل التفسير بقوله :

وفسرها ابن عباس بقولهِ: لا تلبسها على معصية ولا قذر.

(١) الإتقان في علوم القرآن: ٧٦/٢.

(٢) فن البلاغة: ١٠٥.

(٣) التفسير القيم: ٥٠٢.

وقال الحسن والقرطبي: وخلقك فحسن. وقال ابن سيرين وابن زيد: أمر بتطهير الثياب من النجاسات التي لا تجوز الصلاة معها ؛ لأن المشركين كانوا لا يتطهرون ولا يطهِّرون ثيابهم.

وقال طاوس: وثيابك فقصر ، لأن تقصير الثياب طهرة لها.

والقول الأول أصح الأقوال. ولا ريب أن تطهيرها من النجاسات وتقصيرها: من جملة التطهير المأمور بهِ. إذ به تمام إصلاح الأعمال والأخلاق ؛ لأن نجاسة الظاهر تورث نجاسة الباطن. ولذلك أمر القائم بين يدي الله Y بإزالتها والبعد عنها (١) .

ويرى الزمخشري أن معناه «قم فأنذر أي : حذِّر قومك من عذاب الله إن لم يؤمنوا ، وربَّك فكبِّر اختص ربك بالتكبير ، وهو الوصف بالكبرياء ، وثيابك فطهر أمر بأن تكون ثيابه طاهرة من النجاسات ؛ لأن طهارة الثياب شرط في الصلاة» (٢) .

ثانيا : التقديم والتأخير :

التقديم والتأخير من الأساليب الفنية والإعجازية التي شغلت النحويين والبلاغيين على حد سواء ، والذي يهمنا هو الجانب البياني الذي يكشف لنا عن المجال اللفظي والمعنوي الذي يتحقق بفعل تقديم أو تأخير.

---

(١) ينظر: التفسير القيم: ٥٣ ، ومدارج السالكين: ٢/١٠-١١.

(٢) الكشاف: ٤/٤٨٦-٤٨٧ ، وينظر: البحر المحيط: ٣٦٢/٨.

وقد عرفه الزركشي (ت ٧٩٢هـ) بقوله: «وهو أحد أساليب البلاغة فإنهم أتوا بهِ ، دلالة على تمكنهم في الفصاحة ، وملكتهم في الكلام ، وانقياده لهم ، وله في القلوب أحسن موقع وأعذب مذاق» (١) .

ووصفه عبد القاهر الجرجاني بأنه: «باب كثير الفوائد ، جمّ المحاسن، واسع التصرف ، بعيد الغاية ، لا يزال يفتر لك عن بديعه ويفضي بك إلى لطيفه ، ولا تزال ترى شعراً يروقك مسمعه ، ويلطف لديك موقعه ، ثم تنظر فتجد سبب إن راقك ، ولطف عندك إن قدم فيه شيء ، وحول اللفظ من مكان إلى مكان» (٢) .

ويعده الدكتور فاضل صالح السامرائي: «فن رفيع يعرفه أهل البصر بالتعبير والذين أوتوا حظاً من معرفة مواقع الكلام وليس ادعاء يدعى أو كلمة تقال...إنّ القرآن الكريم دقيق في وضع الألفاظ ورصفها بجنب بعض دقة عجيبة فقد تكون له خطوط عامة في التقديم والتأخير ، وقد تكون هناك مواطن تقتضي تقديم هذه اللفظة أو تلك كل ذلك مراعى فيه سياق الكلام والاتساق العام في التعبير على أكمل وجه وأبهى صورة» (٣) .

وذكر مثال على ذلك في التفسير القيم قوله تعالى: **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**) [الفاتحة : ٥] ؛ إذ قُدِّم المفعول به على الفعل والفاعل ، وهو الضمير

(١) البرهان في علوم القرآن: ٢٣٣/٣.
(٢) دلائل الإعجاز: ٧٢-٧٣.
(٣) التعبير القرآني: ٥١.

(إِيَّاكَ) «وبنى (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) على أربع قواعد ، التحقق بما يحبه الله ورسوله ويرضاه من قول اللسان ، والقلب وعمل القلب والجوارح» [١] .

فإياك نعبد: التزام لأحكام هذه الأربعة وإقرار بها، و(إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) طلب للإعانة عليها والتوفيق لها. وجميع الرسل إنما دعوا إلى (إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)فإنهم كلهم دعوا إلى توحيد الله وعبادته ، من أولهم إلى آخرهم [٢] .

ووقف العلماء والمفسرون على وجه التقديم في آية الفاتحة وكل له رأيه في ذلك فقول الزمخشري: «قدم مفعولي (نَعْبُدُ) و (نَسْتَعِينُ) لقصد الاختصاص» [٣] .

«والمعنى: نخصك بالعبادة ونخصك بالاستعانة فلا نعبد إلا إياك ولا نستعين إلا بك ، إذ لا تصح العبادة إلا لله ولا تجوز الاستعانة إلا به وهو نظير قوله: (بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنْ الشَّاكِرِينَ) [الزمر : ٦٦]» [٤] .

ولو قيل: نعبدك ونستعينك ، لم يُفِد نفي عبادتهم لغيره [٥] وذلك نظير: (أكرمتك) و (إيَّاك أكرمت) فقولك: (أكرمتك) يفيد أن المتكلم أكرم

(١) التفسير القيم: ٩١ ، وينظر: بدائع التفسير: ٤٥/١ ، وتنوير الأذهان: ١٦/١ ، وروح المعاني: ٨٧/١.
(٢) ينظر: التفسير القيم: ٩١/٩٢.
(٣) الكشاف: ٢٨/١٤ ، وينظر: الإيضاح في علوم البلاغة: ١١١.
(٤) لمسات بيانية في نصوص من التنزيل: ٣٨.
(٥) ينظر: تفسير الرازي: ٢٤٧/١.

المخاطب. ولا يفيد أنه خصه بالإكرام بخلاف قوله: (إياك أكرمت) فإنه يُفيد أنه خصَّهُ بالإكرام فلم يكرم أحداً غيره [(١)] .

جاء في (روح المعاني) : «في سر تكرار (إيَّاك) فقيل: للتخصيص على طلب العون منه تعالى: فإنه لو قال سبحانه: (إِيَّاك نعبد ونستعين) لاحتمل أن يكون إخباراً بطلب المعونة من غير أن يُعين ممن طلب.

وقيل: لو اقتصر على واحد ربما توهم أنه لا يتقرب إلى الله تعالى إلا بالجمع بينهما، والواقع خلافه» [(٢)] .

وجاء في (التفسير القيم) : «ففي إعادة الضمير من قوة الاختصاص لذلك ما ليس من حذفه ، «إذا قلتملك مثلاً ، إياك أحبُّ وإياك أخاف ، كان فيه من اختصاص الحب والخوف بذاته والاهتمام بذكره ، ما ليس في قولك ، إياك أحب وأخاف» [(٣)] .

ثم يضيف قائلاً: «إنَّ تقديم العبادة على الاستعانة في الفاتحة من باب تقديم الغايات على الوسائل ، إذا العبادة غاية العباد التي كلفوا لها والاستعانة وسيلة إليها» [(٤)] .

---

(١) لمسات بيانية في نصوص من التنزيل: ٣٨.

(٢) روح المعاني: ٩٠/١.

(٣) التفسير القيم: ٦٨-٦٩.

(٤) التفسير القيم: ٦١ ، وينظر: الكشاف: ٢٩/١.

وجاء في (روح المعاني) : «إنها – أي العبادة – أشد مناسبة بذكر الجزاء ، والاستعانة أقوى التئاماً بطلب الهداية» (١) .

ومنها:إنَّ « (**إِيَّاكَ نَعْبُدُ**) متعلق بإلوهيته واسمه (الله) ، و (**إِيَّاكَ نَعْبُدُ**) متعلق بربوبيته واسمه الرب ، فقدم (**إِيَّاكَ نَعْبُدُ**) على و **يَّاكِ نَسْتَعِينْ**) كما نقدم اسم الله على الرب في أول السورة» (٢) .

ومنها:إنَّ « (**إِيَّاكَ نَعْبُدُ**) هو قسم الله فكان مع الشطر الذي هو ثناء على الله تعالى لكونه أولى إليه ، و**إِيَّاكَ نَسْتَعِينْ**) قسم العبد فكان مع الشطر الذي له و ا**هدِنَا الصِّرَطَ الْمُسْتَقِيمَ**) إلى آخر السورة» (٣) .

ورأي المحدثين في هذا واضح على وقف التقديم في قوله تعالى: (**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**) فقد قدَّم الضمير لحصر العبادة والاستعانة بالله وحده ، وقدمت العبادة على الاستعانة ؛ لأنَّ الاستعانة ثمرتها ، وإعادة إياك مع الفعل الثاني تفيد أن كلاً من العبادة والاستعانة مقصود بالذات ، فلا يستلزم كل منهما الآخر ، ولأن الكاف التي مع إيَّا هي الكاف التي كانت تتصل بالفعل ، أعني بقولهِ نعبد لو كانت مؤخرة بعد الفعل ، وهي كناية عن اسم المخاطب المنصوب بالفعل، فكثرت بإيَّا متقدمة ، وكان الأفصح إعادتها مع كل فعل (٤) .

---

(١) روح المعاني: ٨٨/١.
(٢) التفسير القيم: ٦٦-٦٧.
(٣) التفسير القيم: ٦٧.
(٤) ينظر: إعراب القرآن وبيانه: ٣١.

ويشير ابن الأثير إلى سبب التقديم بقوله: «وذلك لمراعاة معنى النظم السجعي الذي هو حرف النون» [١] .

وتابع صاحب الطراز ابن الأثير وأضاف إليه جاعلاً وجه التقديم الاختصاص والتشاكل فالأول يمثل الجانب المعنوي والثاني يمثل الجانب اللفظي [٢] .

وسار الشوكاني على خطى الزمخشري وزاد عليه ؛ إذ جعل سبب التقديم هو الاختصاص مع الاهتمام ولا تزاحم بين المقتضيات [٣] .

وقد أيد بعض الباحثين رأي أبي حيان في أثناء دراسته علل الاختيار في تفسير البحر المحيط بقوله: «فمن العلل التي جاء من أجلها التقديم ما يقيد الاهتمام... من ذلك ما ورد في سورة الفاتحة من تقديم المفعول: (**إِيَّاكَ نَعْبُدُ**) » [٤] .

ثالثاً : التعريف والتنكير :

يعد التعريف والتنكير من الأساليب التي لقيت عناية كبيرة من الذين تحدثوا عن النحو والمعاني ، وتركزت عنايتهم على علل أوردوها السابقون ، ومنهم الزمخشري وأبي حيان وأبي السعود ، وهذا عبد القاهر الجرجاني يقول في أسلوب التعريف والتنكير: «إنه من عجيب الشأن وله مكان في الفخامة والنبل ، وهو من

(١) المثل السائر: ٢٤١.
(٢) ينظر: الطراز: ٢/٢٢.
(٣) ينظر: فتح القدير: ١/٢٢.
(٤) علل الاختيار في تفسير البحر المحيط: ١٤١.

سحر البيان الذي تقصر العبارة عن تأدية حقه والمعول فيه على مراجعة النفس واستقصاء التأمل» [١] .

وأورد على ذلك ابن القيم قوله: (**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**) [محمد : ٢٤].

قال ابن عباس ، يريد على قلوب هؤلاء أقفال.

وقال مقاتل: يعني الطبع على القلب. وكأن القلب بمنزلة الباب المرتج ، الذي قد ضرب عليه قفل ، فإنه إنَّ ما لم يفتح القفل لا يمكن فتح الباب والوصول إلى ما وراءه. وكذلك ما لم يرفع الختم والقفل عن القلب لم يدخل الإيمان ولا القرآن [٢] .

«وتأمل تنكير القلوب وتصريف الأفعال بالإضافة إلى ضمير القلوب ، فإن تنكير القلوب يتضمن إرادة قلوب هؤلاء وقلوب من هم بهذه الصفة ، ولو قال: أم على القلوب أقفالها لم تدخل قلوب غيرهم في الجملة» [٣] .

«وفي قوله: (أقفالها) بالتعريف نوع تأكيد. فإنه لو قال: أقفال لذهب الوهم إلى ما يعرف بهذا الاسم.فلما أضافها إلى ضمير القلوب علم أنَّ المراد بها ما هو للقلب بمنزلة العقل
للباب. فكأنه أراد أقفالها المختصة بها ، التي لا تكون لغيرها والله أعلم» [٤] .

---

(١) دلائل الإعجاز: ١٨٣ ، وشرح الرضي على الكافية: ٢٧٩/٣ ، وشرح الأشموني: ٩٦/١ ، وينظر: التوجيه البياني للتعبير القرآني عند الدكتور فاضل السامرائي: رسالة ماجستير: ١٣٣.
(٢) ينظر : التفسير القيم: ٤٣٩.
(٣) المصدر السابق : ٤٣٩.
(٤) شفاء العليل: ٩٥ ، والتفسير القيم: ٤٣٩ ، وينظر: البحر المحيط: ٨٢/٨.

ونجد الزمخشري يصفها بسؤاله: «لم نكرت القلوب وأضيفت الأقفال إليها؟ قلت: أما التنكير ففيه وجهان: أن يراد على قلوب قاسية مبهم أمرها في ذلك. أو يراد على بعض القلوب: وهي قلوب المنافقين. وأما إضافة الأقفال ؛ فلأنه يريد الأقفال المختصة بها وهي أقفال الكفر التي استغلقت فلا تنفتح» [١] .

وأشار ابن القيم إلى علة تعريف (الفجر) وتنكير (ليالٍ عشر) في قوله تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾ [الفجر : ٢] ؛ إذ يقول: «عرّف الفجر باللام، إذ كل أحد يعرفه، ونكّر الليال العشر ؛ لأنها إنما تعرف بالعلم ، وأيضاً فإن التنكير تعظيم لها ، فإن التنكير يكون للتعظيم. وفي تعريف الفجر ما يدل على شهرته» [٢] .

يقول الزمخشري: «فإن قلت: فما بالها (وليالٍ عشر) منكرة من بين ما أقسم بهِ؟ قلت:لأنها ليالٍ مخصوصة من بين جنس الليالي: العشر بعض منها. أو مخصوصة بفضيلة ليست لغيرها. فإن قلتفهلاً عُرِّفت بلام العهد ، لأنها ليالٍ معلومة معهودة؟ قلت: لو فعل ذلك لم تستقل بمعنى الفضيلة الذي في التنكير ؛ ولأنَّ الأحسن أن تكون اللامات متجانسة ، ليكون الكلام أبعد من الألغاز والتعمية» [٣] .

---

(١) الكشاف: ٢٤٧/٤.
(٢) التفسير القيم: ٥٠٧ ، وينظر: بدائع التفسير: ٢٩٨/٣ ، والتبيان في أقسام القرآن: ٢٥ ، والتفسير الكبير: ١٦٢/٣١.
(٣) الكشاف: ١٤٦/٤ ، وينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٣٩/٢٠.

والذي أذهب إليه أن مجيء لفظ (الفجر) معرفاً هو الصواب ، لأنه معروف للقاصي والداني لتدل على الانكشاف وظهور معالم الحياة ، أما تنكير (ليالٍ عشرٍ) فإن فيها مكانة عظيمة لما تحمله هذه الليالي من أفضلية عند الله. والله من وراء القصد.

رابعاً: القصر والحصر :

القصر في اللغة : الحبس والالتزام. نقول: قصرت نفسي على الشيء إذا حبستها (١).

والقصر اصطلاحاً: هو تخصيص أمر بآخر بطريقة مخصوصة (٢) .

والحصر في اللغة: أيضاً الحبس (٣)وذهب الزمخشري إلى أنَّ الحصر هو القصر. ومما جاء في تفسير ابن القيم الجوزية على أسلوب القصر والحصر هو:-

قوله تعالى: (**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**)[الأنبياء : ١٠٧].

قال ابن القيم: (أصح القولين في هذه الآية ، أنها على عمومها. وفيها على هذا التقدير وجهان:-

أحدهما: أن عموم العالمين حصل لهم النفع برسالته. أما أتباعه فنالوا بها كرامة الدنيا والآخرة.

---

(١) لسان العرب: مادة (قصر) ، وينظر: تاج العروس: مادة (قصر) .

(٢) الإتقان: ١٠٦/٢ ، وينظر: الإيضاح في علوم البلاغة: ١٢٧، والميسر في البلاغة العربية: ٢١٩.

(٣) لسان العرب: مادة (حصر) .

وأما أعداؤه المحاربون له: فالذين عجل قتلهم وموتهم خير لهم ؛ لأن حياتهم زيادة لهم في تغليظ العذاب عليهم في الدار الآخرة. وهم قد كتب عليهم الشقاء. فتعجيل موتهم خير لهم من طول أعمارهم في الكفر.

وأما المعاهدون له ، فعاشوا في الدنيا تحت ظله وعهده وذمته. وهم أقل شراً بذلك العهد من المحاربين له.

وأما المنافقون فحصل لهم بإظهار الإيمان به حقن دمائهم وأموالهم وأهليهم واحترامها وجريان أحكام المسلمين عليهم في التوراث وغيرها.

وأما الأمم النائية عنه: فإن الله سبحانه رفع برسالته العذاب العام عن أهل الأرض فأصاب كل العالمين النفع برسالتهِ.

الوجه الثاني: أنه رحمة لكل أحد ، لكن المؤمنون قبلوا هذه الرحمة فانتفعوا بها دنيا وأخرى والكفار ردوها ، فلم يخرج بذلك عن أن يكون رحمة لهم ، لكن لم يقبلوها ، كما يقال: هذا دواء لهذا المرض ، فإذا لم يستعمله لم يخرج عن أن يكون دواء لذلك المرض (١) .

(١) التفسير القيم: ٣٦٥ ، وينظر: الكشاف: ١٠٥/٣.

المبحث الثاني

علم البيان في التفسير القيم

«اللفظ إن عُيِّن بإزاء معنى ليدل عليه سمي موضوعاً ، والمعنى موضوعاً له ، والتعيين وصفاً ، ثم إن بعد ذلك إما أن لا يتصرف فيه عند الاستعمال ، أو يتصرف فيه:

فالأول: هو الذي لا يتصرف فيه عند الاستعمال يسمى (حقيقة) .

والثاني: هو الذي يتصرف فيه عند الاستعمال:

فإن كان التصرف بإسناده إلى غير ما حقُّه أن يُسند إليه ، سُمِّيَ (مجازاً عقلياً ، أو إسناداً مجازياً) نحو (بنى الأمير المدينة) وإن كان ينقله من معنى لمعنى لعلاقة أو قرينة.

أ. فإن منعت قرينته أرادت المعنى الموضوع له (فمجاز بالاستعارة) . إن كانت العلاقة مشابهة ، ومجاز مرسل إن كانت العلاقة غيرها.

ب. وإن لم تمنع القرينة – فإن كان بالكاف وكأن ونحوهما (فتشبيه) .وإلا فـ (كناية) .

ولهذا انحصر علم البيان في التشبيه ، والمجاز ، والكناية» [1] .

ونضيف عليها الاستعارة بحسب ما ورد عند عبد القاهر الجرجاني ؛ إذ قال: «وأول ذلك وأولاه وأحقّه بأن يستوفيه النظر ويتقصّاه: القول على التشبيه والتمثيل والاستعارة ، فإن هذه أصول كثيرة كأن جُل محاسن الكلام – إن لم تَقُل

---

(١) جواهر البلاغة: ٢٠٧ ، وينظر: فن البلاغة: ٩١.

كلها – متفرعة عنها ؛ وراجعة إليها. وكأنها أقطاب تدور عليها المعاني في متصرفاتها. وأقطار تحيط بها من جهاتها» [١] .

ويعد السكاكي في كتابه (مفتاح العلوم) [٢] أول من حدد أو قسّم علوم البلاغة على المعاني والبيان وما يلحق بهما من مُحسِّنات لفظية ومعنوية ، وقال في تعريف البيان: «أما علم البيان فهو معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه، وبالنقصان ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه» [٣] .

أولاً: الاستعارة :

هو أن يكون للفظ أصل في الوضع اللغوي معروفاً تدل الشواهد على أنه اختص به حين وضع ، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل وينقله إليه نقلاً غير لازم فيكون هناك كالعارية [٤] .

والجاحظ أول من عرّف الاستعارة بقوله: «تسمية الشيء باسم غيره إذا أقام مقامه» [٥].

ثم إنها تنقسم على قسمين [٦] :-

---

(١) أسرار البلاغة: ٢٥.
(٢) مفتاح العلوم: ٧٧.
(٣) ينظر: مفتاح العلوم الأساليب البلاغية في تفسير نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١٦٦.
(٤) ينظر: أسرار البلاغة: ٢٧.
(٥) البيان والتبيين: ١/١٥٣ ، والحيوان: ٢/٢٨٠.
(٦) ينظر : أسرار البلاغة : ٢٧.

إحداهما: أن لا يكون لنقلهِ فائدة.

والثاني: أن يكون له فائدة.

وهذا يعني إذا كان المستعار له محققاً عقلاً ، بأن يمكن أن يُنص عليه ، ويشار إليه إشارة عقلية ، كقولهِ تعالى:(**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**) [الفاتحة : ٦] أي: الدين الحق ؛ (فالاستعارة تحقيقية) [(١)].

ونجد ابن قيم الجوزية يوضح ما جاء في قوله تعالى:(**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**) في سورة الفاتحة أنه سبحانه Y «ذكر الصراط المستقيم منفرداً ، معرفاً تعريفين: تعريفاً باللام ، وتعريفاً بالإضافة ، وذلك يفيد تعينهُ واختصاصه ، وأنه صراط واحد. وأما طرق أهل الغضب والضلال فإنه سبحانه يجمعها ويفردها كقوله:(**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ**) [الأنعام: ١٥٣]فوحَّد لفظ الصراط وسبيله. وجمع السُبل المخالفة له» [(٢)] .

وأضاف في موضع آخر:

«والصراط المستقيم: هو صراط الله. وهو يخبر أن الصراط عليه سبحانه ، ويخبر أنه سبحانه على الصراط المستقيم ، وهذا في موضعين من القرآن ، في هود والنحل» [(٣)] .

---

(١) ينظر: جواهر البلاغة: ٢٥٠.

(٢) التفسير القيم: ١٤.

(٣) المصدر السابق: ١٨.

«ودلالته لنا سبحانه على الصراط هي من موجب كونه سبحانه على الصراط المستقيم.فإن دلالته بفعله وقوله ، و هو على الصراط المستقيم في أفعاله وأقواله. فلا يناقض قول من قال: إنه سبحانه على الصراط المستقيم.

قال: وقيل: هو رسول الله ρ يأمر بالعدل. وهو على صراط مستقيم.

قلت: وهذا حق لا يناقض القول الأول. فالله على الصراط المستقيم ورسوله عليه ، فإنه لا يأمر ولا يفعل إلا مقتضاه وموجبه. وعلى هذا يكون المثل مضروباً لإمام الكفار وهاديهم. وهو الصنم الذي هو أبكم لا يقدر على هدى ولا خير.وا إمام الأبرار ، وهو رسول الله ρ الذي يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم» [١] .

وصنف عبد القاهر الجرجاني الاستعارة في قوله تعالى: **(اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ)** بأنها الصميم الخالص من الاستعارة ، وحدّه أن يكون الشبه مأخوذاً من الصور العقلية،وذلك كاستعارة النور للبنان والصراط للدين[٢]في قولهِ: **(اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ)** .

وأضاف: «واعلم أنّ هذا الضرب هو المنزلة التي تبلغ عندها الاستعارة غاية شرفها، ويتسع لها كيف شاءت المجال في تفننها وتصرفها ، وههنا تخلص لطبقة روحانية فلا يبصرها إلا ذوو الأذهان الصافية والعقول النافذة والطباع السليمة والنفوس المستعدة؛ لأن تعي الحكمة ، وتعرف فصل الخطاب» [٣] .

---

(١) التفسير القيم لابن القيم:١٨-١٩،وينظر:لمحات بيانية في نصوص من التنزيل:٥١.
(٢) ينظر: أسرار البلاغة: ٥١.
(٣) المصدر السابق: ٥١ ، ٥٢.

وجاء في (تفسير الرازي) [١] : «اعلم أن أهل الهندسة قالوا: الخط المستقيم هو أقصر خط يصل بين نقطتين ، فالحاصل أن الخط المستقيم أقصر من جميع الخطوط المعوجة ، فكأنَّ العبد يقول **اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**) لوجوه:-

الأول: أنه أقرب الخطوط وأقصرها ، وأنا عاجز فلا يليق بضعفي إلا الطريق المستقيم.

الثاني:أنَّ المستقيم واحد وما عداه معوجة ، وبعضها يشبه بعضاً في الاعوجاج ، فيشتبه الطريق عليَّ ! أما المستقيم فلا يشابهه غيره فكان أبعد عن الخوف والآفات وأقرب إلى الأمان.

الثالث: الطريق المستقيم يوصل إلى المقصود والمعوج لا يصل إليه.

الرابع: المستقيم لا يتغير ، والمعوج يتغير» [٢] .

ونجد البلاغة واضحة في قوله Y **اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**) وخير دليل على هذا ما جاء في وصف البلاغة في هذه الآية عند المحدثين ، وبخاصة ما قاله الأستاذ محيي الدين درويش بخصوص الاستعارة الواضحة في (**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**) فقد شبه الدين الحق بالصراط المستقيم الذي ليس له أدق انحراف قد يخرجه عن حدود الاستقامة ؛ لأن الخط المستقيم هو أقصر بعد بين نقطتين ، ووجه الشبه بينهما أن الله سبحانه وإن كان متعالياً عن الأمكنة ، لكن

---

(١) تفسير الرازي: ٢٥٨/١.

(٢) تفسير الرازي:٢٥٨/١،وينظر:لمحات بيانية في نصوص من التنزيل:٥٥،٥٦.

العبد الطالب الوصول لابد له من قطع المسافات ، وحسن الآفات ، ليكرم بالوصول والموافاة [١] .

ثانياً: التشبيه :

«اعلم أن الشيئين إذا شبه أحدهما بالآخر كان ذلك على ضربين ، أحدهما ، أن يكون من جهة أمر بين ، لا يحتاج فيه إلى تأول ، والآخر: أن يكون الشبه محصلاً بضرب من التأول» [٢] .

ومثال ذلك قوله تعالى: **﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ﴾** [البقرة : ١٧].

قال ابن القيم: « (وذهب الله بنورهم) ولم يقل:بنارهم ؛ لأنَّ النار فيها الإحراق والإشراق. فذهب بما فيها من الإضاءة والإشراق ، وأبقى عليهم ما فيها من الأذى والإحراق ، وكذلك حال المنافقين: ذهب نور إيمانهم بالنفاق وبقي في قلوبهم حرارة الكفر من الشكوك والشبهات تغلي في قلوبهم ، وقلوبهم قد صليت بحرها ، وأذاها ، وسمومها، ووهجها في الدنيا ، فأصلاها الله تعالى إياها يوم القيامة ناراً مؤصدة تطّلع على الأفئدة» [٣] .

وأضاف بقوله: «شبه تعالى حال المنافقين في خروجهم من النور بعد أن أضاء لهم بحال مستوقد نار، وذهاب نورها عنهم بعد أن أضاءت ما حوله»[٤].

---

(١) ينظر: إعراب القرآن الكريم وبيانه: ٣٣ ، ٣٤.

(٢) أسرار البلاغة: ٦٩ ، وينظر: الكشاف: ١٩٥/١.

(٣) التفسير القيم: ١٢٥ ، وينظر: الكشاف: ٦٧/١.

(٤) التفسير القيم : ١٢٥ ، والبناء النحوي في المثل القرآني: رسالة ماجستير: ١١٩.

ويضرب مثلاً جديداً من جمالية التشبيه في قوله تعالى: (أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللّهُ مُحِيطٌ بِالْكافِرِينَ) [البقرة : ١٩]. فشبه نصيبهم مما بعث الله تعالى به رسوله ρ من النور والحياة بنصيب مستوقد النار التي طُفئت عنه وهو أحوج ما كان إليها. فذهب نوره ، وبقي في الظلمات حائراً تائهاً ، لا يهتدي سبيلاً ، ولا يعرف طريقاً ، وبنصيب أصحاب الصَّيب ، وهو المطر الذي يصوب ، أي: ينزل من عُلو إلى سفل. فشبه الهدي الذي هدي به عباده بالصيب ؛ لأن القلوب تحيى به حياة الأرض بالمطر وشبه نصيب المنافقين من هذا الهدي بنصيب من لم يحصل له نصيب من الصيِّب إلا الظلمات ورعد وبرق ، ولا نصيب له فيما وراء ذلك ، مما هو المقصود بالصيب ، من حياة البلاد والعباد ، والشجر والدواب ، فإن تلك الظلمات التي فيه ، وذلك البرق والرعد مقصود لغيره ، وهو وسيلة إلى كمال ذلك الصيب ، وإنما يقتصر إحساسه بما في الصيب من ظلمة وبرق ورعد ولوازم ذلك من برد شديد وغيره(١). وقد ذكر الزمخشري هذا التشبيه في تفسيره(٢).

ثم يقول – رحمه الله –: «ضرب الله للمنافقين بحسب حالهم مثالين: مثلاً نارياً ، ومثلاً مائياً ؛ لما في النار والماء من الإضاءة والإشراق والحياة ؛ فإنَّ النار مادة النور والماء مادة الحياة ، وقد جعل الله سبحانه الوحي الذي أنزله من

(١) ينظر : المصدر السابق : ١٢٩ .
(٢) الكشاف : ٧٩/١ .

السماء متضمناً لحياة القلوب واستنارتها ، ولهذا سمَّاه روحاً ونوراً ، وجعل قابليه أحياء في النور ، ومن لم يرفع به رأساً أمواتاً في الظلمات» (١).

والذي يبدو لي أنَّ المثل المائي هو الأبلغ في التشبيه ، لأنه أدل على فرط الحيرة وشدة الأمر ، وفظاعته ، وكذلك أفرادهم يتدرجون في مثل هذا من الأهون إلى الأغلظ ، ولما في جمع الظلمات من دلالة على شدة الظلمة ، وما يتبع ذلك من رعد قاصف وبرق خاطف. والله أعلم بالصواب.

ووضح الجرجاني بأن الجملة إذا جاءت بعد المشبه به لم تخل من ثلاثة أوجه (٢) :-

أحدهما:أن يكون المشبه معبراً عنه بلفظ موصول وتكون الجملة صلة كقوله تعالى: (مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ) .

والثاني: أن يكون المشبه به نكرة تقع الجملة صفة له كقول الرسول ρ : «الناس كإبل مائة لا تجد فيها راحلة» (٣) .

الثالث: أن تجيء الجملة مبتدئة ، وذلك إذا كان المشبه به معرفة ولم يكن هناك (الذي) كقوله تعالى: (كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً) (٤) .

ونجد العلامة ابن القيم في موضع آخر من كتابهِ أمثال القرآن يذكر فيما يخص قوله تعالى في سورة البقرة:

(١) التفسير القيم : ١٢٨ وينظر : بدائع التفسير : ٩٨/١ – ٩٩ .
(٢) ينظر: أسرار البلاغة: ٨٦.
(٣) صحيح البخاري: رقاق ٣٥ ، مسند أحمد: ١٢٠/٢.
(٤) سورة العنكبوت: ٤١.

«وقع في القرآن أمثال ؛وأنَّ أمثال القرآن لا يعقلها إلا العالمون ، وأنها تشبيه شيء بشيء في حُكْمِه وتقريب المعقول من المحسوس أو أحد المحسوسين من الآخر ، واعتبار أحدهما بالآخر ، كقوله تعالى في حق المنافقين: (**مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ**)... الآية) فضرب الله للمنافقين بحسب حالهم مثلين مثلاً نارياً ومثلاً مائياً لما في النار من الإضاءة والإشراق ؛ فإن النار مادة النور والماء مادة الحياة» [1] .

ولم يقل سبحانه ذهب الله بضوئهم لقوله : (**فَلَمَّا أَضَاءتْ**) قلت: ذكر النور أبلغ ؛ لأن الضوء فيه دلالة على الزيادة فلو قيل: ذهب الله بضوئهم ، لأوهم الذهاب الزيادة وبقاء ما يسمى نوراً ، والغرض إزالة النور عنهم رأساً وطمسه أصلاً ، وألا ترى كيف ذكر عقوبته (**وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ**) والظلم عبارة عن عدم النور وانطماسه [2] .

ومثلهم الآية (**مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللّهُ بِنُورِهِمْ**) هي تشبيه تمثيلي ، والذي معناه أن يكون وجه الشبه فيه صورة منتزعة من متعدد ، أي إنَّ حال المنافقين في نفاقهم وإظهارهم خلاف ما يسترونه من كفر ، كحال الذي استوقد ناراً ليستضيء بها ثم انطفأت فلم يعد يبصر شيئاً ، وهكذا يبدو لك أنَّ التشبيه التمثيلي يعمل عمل السحر في تأليف المتباينين ، ويريك للمعاني المتمثلة بالأوهام شبهاً في الأشخاص الماثلة ، وينطق

(١) أمثال القرآن: ٥٣-٥٤.
(٢) ينظر: الكشاف: ٦٨/١.

لك الأخرس ، ويعطيك البيان من الأعجم ، ويريك الحياة في الجماد ، ويجعل الشيء القريب بعيداً (١) .

ثالثاً: المجاز

«كل كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها لملاحظة بين الثاني والأول فهي مجاز» (٢) ، وتعريف آخر: «هو إسناد الفعل أو معناه إلى ملابس له غير ما هو لهُ ، بتأول» (٣) .

مثال ذلك قوله تعالى: **(إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ)** [ق : ٣٧].

فسرها ابن القيم بقوله: «إذا أردت الانتفاع بالقرآن ، فاجمع قلبك عند تلاوته ، وألف سمعك ، واحضر حضور من يخاطبه به من تكلم به سبحانه منه إليه ، فإنه خطاب منه سبحانه لك على لسان رسوله ρ » (٤) وقال أيضاً:

«وذلك أنَّ تمام التأثير لما كان موقوفاً على مؤثر مقتض ، ومحل قابل ، وشرط لحصول الأثر ، وانتفاء المانع الذي يمنع منه: تضمنت الآية بيان ذلك كله بأوجز لفظ وأبينه ، وأدله على المراد» (٥) .

فقوله: «لمن كان له قلب» فهذا هو المحل القابل والمراد به: القلب الحي الذي يعقل عن الله ، أي: هو القلب.

(١) ينظر: التفسير القيم:١٣٥،وأمثال القران:٦٤،إعراب القرآن وبيانه: ٥٥-٥٦.
(٢) أسرار البلاغة: ٢٦٠.
(٣) الإيضاح في علوم البلاغة: ٢٢.
(٤) التفسير القيم: ٤٤٣.
(٥) المصدر السابق : ٤٤٣.

ووضحها عبد القاهر الجرجاني بقوله: «ومثل من توقف في التفات هذه الأسامي إلى معانيها الأول ، وظن أنها مقطوعة عنها قطعاً «يرفع الصلة بينها وبين ما جازت إليه ، مثل من إذا نظر في قوله تعالى: **(إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ)**» [1] .

وفسرها الزمخشري في (الكشاف) بقوله: «لمن كان له قلب ، أي: قلب واعٍ ؛ لأن من لا يعي قلبه فكأنه لا قلب له.وإلقاء السمع: الإصغاء. و (وهو شهيد)، أي: حاضر بفطنته ؛ لأن من لا يحضر ذهنه فكأنه غائب» [2] .

رابعاً: الكناية

وهي لفظ أُطلق وأُريد به لازم معناه ، مع قرينة لا تمنع من إرادة المعنى الأصلي [3] .

ومثال ذلك قوله تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ)** [الحجرات : ١٢].

وصفها العلامة ابن القيم بأنها من أحسن القياس التمثيلي ، فإنه شبه تمزيق عرض الأخ بتمزيق لحمه.ولما كان المغتاب يمزق عرض أخيهِ في غيبتهِ كان بمنزلة من يقطع لحمه في حال غيبة روحه وعبر عنه بالموت.

ولما كان المغتاب عاجزاً عن دفعهِ عن نفسهِ بكونه غائباً عن مجلس ذمه كان بمنزلة الميت الذي يقطع لحمه ، ولا يستطيع أن يدفع عن نفسهِ [1] .

(١) أسرار البلاغة: ٢٦٧ ، وينظر: البحر المحيط: ١٢٨/٨.
(٢) الكشاف: ٢٩٨/٤.
(٣) ينظر: الإيضاح: ٤٥٦/٢ ، والتلخيص: ٣٣٧ ، وجواهر البلاغة: ٢٧٦.

ولما كان مقتضى الأخوة التراحم والتواصل والتناصر ، فعلق عليها المغتاب ضد مقتضاها من الذم والعيب والطعن ، كان ذلك نظير تقطيع لحم أخيه ، والأخوة تقتضي حفظه وصيانته والذب عنه.

ولما كان المغتاب متمتعاً بعرض أخيهِ ، متفكهاً بغيبته وذمه ، متحلياً بذلك شبّه بأكل لحم أخيه بعد تقطيعه.

ولما كان المغتاب محباً لذلك معجباً به: شبّه بمن يحب أكل لحم أخيه ميتاً ومحبتهِ، لذلك قدر زائد على مجرد أكلهِ ، كما أن أكله قدر زائد على تمزيقه [٢] .

ووصفه ابن قيم قوله تعالى هذا بـ«مطابقة المعقول فيه للمحسوس» [٣] .

فلهذا يوجب العقل والفطرة من الحكمة أن يكونوا أشد شيء قدره كما هو نظيره ومشبهه.

وجاء في (البحر المحيط) : «ضرب المثل لأخذه العرض بأكل اللحم ، لأن اللحم ستر على العظم والشاتم لأخيه كأنه يقشر ويكشف ما عليه من ستر وقال تعالى: (**مَيْتًا**) لأن الميت لا يحس ، وكذلك الغائب لا يسمع ما يقول فيه المغتاب ثم هو في التحريم كأكل لحم الميت» [٤] .

وذكر ابن القيم شاهداً آخر على الكناية ، وهو قوله تعالى: (**مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ**) [المائدة : ٧٥].

---

(١) ينظر: التفسير القيم: ٤٤١ ، والكشاف: ٢٨٤/٤ ، وجواهر البلاغة: ٢٧٥.
(٢) ينظر: المصدر السابق: ٤٤١.
(٣) التفسير القيم: ٤٤٢.
(٤) البحر المحيط: ١١٤/٨.

يقول - رحمه الله -: ﴿إنَّ الذي يأكل الطعام يكون منهُ ما يكون من الإنسان من الفضلات القذرة التي يستحي الإنسان من نفسه وغيره حال انفصالها ، بل يستحي من التصريح بذكرها ، ولهذا ، والله أعلم ، كنَّى سبحانه عنها بلازمها من أكل الطعام الذي ينتقل الذهن منه إلى ما يلزمه من هذه الفضلة. فكيف يليق بالرب سبحانه أن يتخذ صاحبة وولداً من هذا الجنس؟ ولو كان يُليق به ذلك أو يمكن ، لكان الأولى بهِ أن يكون من جنس لا يأكل ولا يشرب ، ولا يكون منه الفضلات المستقذرة التي يُستحيى منها ويرغب عن ذكرها. فانظر ما تضمَّنه هذا المعنى العظيم الجليل الذي لا يجد سامعه مغمزاً لهُ ، ولا مطعناً فيه ، ولا تشكيكاً ولا سؤالاً يورده عليه ، بل يأخذ بقلبهِ وسمعهِ» [1] .

(١) التفسير القيم: ٣٨١ ، وينظر: بدائع التفسير: ٣٢٥/١ ، والصواعق المرسلة: ٤٨٢/٢ ، والدر المصون: ٣٧٨/٤.

المبحث الثالث

علم البديع في التفسير القيم

تعريف علم البديع :

البديع لغةً: المخترع الموجد على غير مثال سابق ، وهو مأخوذ من قولهم: بدع الشيء ، وأبدعه ، اخترعه لا على مثال [١] .

واصطلاحاً: هو علم يُعرف به الوجوه [٢]، والمزايا التي تزيد الكلام حسناً وطلاوة وتكسوه بهاءً ووثوقاً، بعد مطابقته لمقتضى الحال ، وضوح دلالته على المراد [٣] .

واضعه: عبد الله بن المُعتز (ت ٢٩٦هـ) ، ثم اقتفى أثره قُدامة بن جعفر الكاتب ، ثم ألف فيه كثيرون ، كأبي هلال العسكري ، وابن رشيق القيرواني ، وصفي الدين الحلي، وابن حجة الحموي ، وغيرهم [٤] .

وتعريف آخر لعلم البديع: «هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة وهو ضربان: معنوي ولفظي» [٥] .

فالبديع المعنوي ما كان التحسين فيه يرجع إلى المعنى.

---

(١) ينظر: لسان العرب: مادة (بدع) ، وجواهر البلاغة: ٢٨٧.

(٢) وجوه التحسين: أساليب وطرق معلومة وضعت لتزيين الكلام وتنميقه ، وتحسين الكلام بعلمي المعاني والبيان (ذاتي) وبعلم البديع (عرضي) ، ينظر: جواهر البلاغة: ٢٨٧.

(٣) علم البديع : ٢٥١.

(٤) جواهر البلاغة : ٢٨٧.

(٥) التلخيص: ٤٨ ، وينظر: البيان الحديث في علم العروض: ١٠٧.

والبديع اللفظي ما كان التحسين فيه يرجع إلى اللفظ ، لكننا في الحقيقة لا نستطيع أن نفصل عملياً بين البديع اللفظي والمعنوي ؛ لأن كل نوع من البديع له علاقة وشيجة بالمعنى [١] .

أولاً: الطباق [٢] :

وهو الجمع بين الشيء وضده في الكلام ، وهما قد يكونان اسمين ، نحو ﴿ هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ ﴾ [سورة الحديد: ٣] ، أو فعلين نحو ﴿ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى ﴾ [النجم : ٤٣] ، أو حرفين نحو ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [سورة البقرة: ٢٢٨] أو مختلفين، نحو ﴿ وَمَن يُضْلِلِ اللّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ [الرعد : ٣٣].

ذكره ابن القيم الجوزية كما في قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَاجِدَ الله شَاهِدِينَ عَلَى أَنفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ ﴾ [سورة التوبة: ١٧] فهذه شهادة منهم على أنفسهم بما يفعلون من أعمال الكفر وأقواله ، فهي شهادة بكفرهم ، وهم شاهدون على أنفسهم بما شهدت بها عليهم [٣] .

---

(١) الأساليب البلاغية في تفسير نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٢٤١.

(٢) ويسمى بالمطابقة ، وبالتضاد ، وبالتطبيق ، وبالتكافؤ ، وبالتطابق ، وهو الجمع في الكلام بين معنيين متقابلين ، سواء أكان ذلك التقابل تقابل ضدين أو النقيضين أو الإيجاب والسلب ، أو التضايق.

(٣) ينظر: التفسير القيم: ١٧٧.

والمقصود: أنه سبحانه يشهد بما جعل آياته المخلوقة دالة عليه. فإن دلالتها إنما هي بخلقه وجعلهِ ، ويشهد بآياتهِ القولية الكلامية المطابقة لما شهدت به آياتهِ الخلقية ، فتطابقت شهادة القول وشهادة الفعل [١] .

وجاء عند الزمخشري في (الكشاف) قوله: «ما استقام لهم أن يجمعوا بين أمرين متنافيين: عمارة متعبدات الله ، مع الكفر بالله وبعادتهِ. ومعنى شهادتهم على أنفسهم بالكفر ؛ ظهور كفرهم وأنهم نصبوا أصنامهم حول البيت، وكانوا يطوفون عُراة ويقولون: لا نطوف عليها بثياب قد أصبنا فيها المعاصي، وكلما طافوا بها شوطاً سجدوا لها ، وقيل: هو قولهم لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك» [٢] .

ثانياً: المقابلة :

وهي أن يُؤتي بمعنيين متوافقين أو أكثر ، ثم يؤتي بما يقابل ذلك على الترتيب[٣] ، كقوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ ﴾ [سورة الجن: ٦].

فسرها ابن القيم بقولهِ: «إذا أطلق عليهم اسم الرجال لم يمتنع أن يطلق عليهم اسم ، الناس؟ ، قلت: هذا هو الذي عَزَّ من قال ، إنَّ الناس اسم للجن والإنس في هذه الآية ، وجواب ذلك:أنَّ اسم الرجال إنما وقع عليهم وقوعاً مقيداً

(١) المصدر السابق : ١٧٧.
(٢) الكشاف: ٢/١٩٠.
(٣) جواهر البلاغة: ٢٩٣.

في مقابلة ذكر الرجال من الإنس. ولا يلزم من هذا أن يقع اسم الناس والرجال عليهم مطلقاً» (١) .

وأضاف: «وأنت إذا قلت: إنسان من حجارة ، أو رجل من خشب ، ونحو ذلك لم يلزم من ذلك وقوع اسم الرجل والإنسان عند الإطلاق على الحجر والخشب.

وأيضاً فلا يعزم من إطلاق اسم الرجل على الجني أن يطلق عليه اسم الناس ؛ وذلك لأن الناس والجِنَّة متقابلان ، وكذلك الإنس والجن. فالله سبحانه يقابل بين اللفظين كقوله: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ﴾ [سورة الرحمن: ٣٣] وهو كثير في القرآن. وكذلك قوله: ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ يقتضي أنهما متقابلان. فلا يدخل أحدهما في الآخر ، بخلاف الرجال والجن ، فإنهما لم يستعملا متقابلين. فلا يقال ، الجن والرجال ، كما يقال: الجن والإنس.

وحينئذ فالآية أبين حجة عليهم في أنَّ الجن لا يدخلون في لفظ (الناس) ؛ لأنه قابل بين الجنة والناس. نعلم أن أحدهما لا يدخل في الآخر.

فالصواب:القول الثاني ، وهو أنَّ قوله: ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ بيان الذي يوسوس وأنهم نوعان إنس وجن. فالجن يوسوس في صدور الناس ، والإنس أيضاً يوسوس في صدور الناس» (٢) .

وتفسير الآية في البحر المحيط: «إنَّ الرجل كان إذا أراد المبيت أو الحلول في وادٍ نادى بأعلى صوته: يا عزيز هذا الوادي إني أعوذ بك من السفهاء الذين

(١) التفسير القيم: ٦١٨.
(٢) المصدر السابق: ٦١٨-٦١٩.

في طاعتك ، فيعتقد في ذلك أنَّ الجني الذي بالوادي يمنعهُ ويحميه ، فروي أنَّ الجن كانت تقول عند ذلك: لا نملك لكم ولا لأنفسنا من الله شيئاً» [1] .

ثالثاً: مراعاة النظير :

هي الجمع بين أمرين أو أمور متناسبة ، لا على جهة التضاد ، وذلك إما بين اثنين [2] ، نحو (**هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ**) [الإسراء : ١] .

وذكر لذلك ابن القيم الجوزية قوله تعالى(**لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَآؤُوا فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ فَإِنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**) [البقرة : ٢٢٦-٢٢٧].

ختم حكم الفيء ، الذي هو الرجوع والعود إلى رضى الزوجة ، والإحسان إليها ، بأنه غفور رحيم ، يعود على عبده بمغفرته ورحمته. إذا رجع إليه. والجزاء من جنس العمل. فكما رجع العبد إلى التي هي أحسن ، رجع الله إليه بالمغفرة والرحمة(**وَإِنْ عَزَمُواْ الطَّلاَقَ فَإِنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**) فإن الطلاق لما كان لفظاً يسمع ، ومعنى يقصد ، عقَّبه باسم (السميع) لما نطق به (العليم) بمضمونه [3] .

(١) البحر المحيط: ٣٤١/٨.
(٢) ينظر: جواهر البلاغة: ٢٩٣.
(٣) التفسير القيم: ١٤٧.

وإنَّ عزمهم الطلاق بما يعلم ولا يُسمع ، قلت:الغالب أنَّ العازم للطلاق وترك الفيئة والضرار ، لا يخلو من مقاولة ودمدمة ولابد له من أن يحدِّث نفسه ويناجيها بذلك،وذلك حديث لا يسمعه إلا الله كما يسمع وسوسة الشيطان(١).

رابعاً: المشاكلة :

أول من أطلق تسمية المشاكلة أبو علي الفارسي كما نص عليه الدكتور أحمد مطلوب (٢) .

وهي أن يُذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صُحبته (٣) . كقوله تعالى: (**تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ**) [سورة المائدة: ١١٦] (٤)والمراد: ولا أعلم ما عندك.

وذكر قوله تعالى**فَإِنْ آمَنُواْ بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ**) [سورة البقرة: ١٣٧] وليس له مثل.

والجواب من أوجه (٥) :-

الأول:أنَّ المراد به التبكيت ، والمعنى: حصلوا ديناً آخر مثله ، وهو لا يمكن.

الثاني:أنَّ كلمة (مثل) صلة.

الثالث: أنكم آمنتم بالفرقان من غير تصحيف ولا تحريف. فإن آمنوا بالتوراة من غير تصحيف ولا تحريف فقد اهتدوا.

---

(١) ينظر: الكشاف: ٢٠٧/١.
(٢) معجم المصطلحات البلاغية: ٢٥٨/٣.
(٣) البرهان في علوم القرآن: ٣٧٧/٣ ، وينظر: جواهر البلاغة: ٢٩٨.
(٤) ينظر: الكشاف: ٦٥٥/١ ، وأنوار التنزيل: ٢٩٠/١.
(٥) ينظر: التفسير القيم: ١٣٩ ، وينظر: الكشاف: ١٥٠/١.

الرابع:أنَّ المراد إن آمنوا بمثل ما صرتم به مؤمنين.

والمشاكلة تعني المماثلة ، وأن يترك اللفظ شيئاً مما هو له من أحكام ، ليشاكل لفظاً آخر في السياق تجمعه به مجاورة أو اتفاقه في الصورة (١) .

«قيل: فإن آمنوا بكلمة الشك على سبيل الفرض والتقدير ، أي: فإن حصلوا ديناً آخر مثل دينكم مساوياً لهُ في الصحة والسراء فقد اهتدوا.وفيه أنَّ دينهم الذي هم عليه: وكل دين سواه مغاير له غير مماثل ؛ لأنه حق وهدى وما سواه باطل وضلال. وهذا هو الرأي الصواب» (٢) .

خامساً: التجنيس :

ويقال له: الجناس ، والتجانس ، والمجانسة ؛ ولا يستحسن إلا إذا ساعد اللفظ المعنى،ووازى مصنوعه مطبوعه،مع مراعاة النظير،وتمكن القرائن (٣) .

وتعريفه: أن يتفق اللفظان في النطق ويختلفا في المعنى (٤) .

كقولهِ تعالى: (**لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ**) [سورة الكافرون: ٢ ، ٣] وهذا يسمى «جناس الاشتقاق» (٥) .

---

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٣٧٧/٣ ، الحمل على غير الظاهر: أطروحة دكتوراه: ٤٠.

(٢) الكشاف: ١٥٠/١.

(٣) ينظر: علم البديع : ٢٨٢ ، وجواهر البلاغة: ٣٠٧.

(٤) فن البديع : ٣١٧ ، وينظر: نظم الدرر: ١٣/١٠.

(٥) جواهر البلاغة: ٣١٨.

وقال عنه ابن القيم الجوزية بقوله: «لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ) ومعبودهم لا يعقل. ثم ازدوج مع هذا الكلام وقوله:(أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ) فاستوى اللفظان ، وإن اختلف المعنيان» [1] .

وفسرها الزمخشري بقوله : «أي وما كنت قط عابداً فيما سلف ما عبدتم فيه يعني: لم تعهد مني عبادة صنم في الجاهلية فكيف ترجى مني في الإسلام ، أي: وما عبدتم في وقت ما أنا على عبادته ؛ لأنهم كانوا يعبدون الأصنام قبل المبعث ، وهو لم يكن يعبد الله تعالى في ذلك الوقت ، أي: كأنه قال: لا أعبد الباطل ولا تعبدون الحق: والمراد هنا الصفة» [2] .

وللتجنيس مكانة مميزة ؛ إذ يعد واحداً من الفنون البديعية التي خصها قسم كبير من المفسرين بالذكر [3] : «وهو ضرب من التكرار المؤكد للنغم من خلال التشابه الكلي أو الجزئي في تركيب الألفاظ فهذا التشابه في الجرس يدفع إلى التماس معنى تنصرف إليه اللفظتان بما يثيره من انسجام بين نغم التشابه اللفظي ومدلوله على المعنى» [4] .

سادساً: تأكيد المدح بما يشبه الذم :

هو ضربان [5] :-

---

(١) التفسير القيم: ٥٢٥.

(٢) الكشاف: ٦١٤/١.

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٩٧/١٠ ، البحر المحيط: ١٠/٩ ، والتسهيل: ١٦٧/٢ ، والتحرير والتنوير: ٦٠٥/٣.

(٤) جرس الألفاظ: ٢٨٤.

(٥) ينظر: بديع القرآن: ١٨٧ ، ونظم الدرر: ١٩٨/٦ ، وجواهر البلاغة: ٣٠٤.

أ- أن يُستثنى من صفة ذم منفية ، صفة مدح على تقدير دخولها فيها. كقوله :

ولا عيبَ فيهم غيرَ أنَّ سيوفهم   بهُنَّ فُلول من قراع الكتائب (١)

ب-أن يُثبت لشيء صفة مدح ، ويؤتى بعدها بأداة استثناء تليها صفة مدح أخرى مستثناة من مثلها كقوله :

فتىً كملت أوصافه غير أنهُ   جوادٌ فما يُبقي من المال باقياً

وذكر ابن القيم قوله تعالى مثال على ذلك: (**فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلاَ تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ**) [القلم : ٤٨] فالمعنى ، لا تكن مثله في ندائهِ ، وقد أثنى الله سبحانه عليه في هذا النداء فأخبر أنه نجَّاه به (٢) .

وفي الآية الكريمة لا يمكن أن ينهى عن التشبه به في هذه الدعوة ، وهي النداء الذي نادى به ربه ، وإنما نهى عن التشبه به في السبب الذي أفضى به إلى هذه المناداة ، وهي مقايضته التي أقضت به إلى حبسه في بطن الحوت ، وشدة ذلك عليه حتى نادى ربه وهو مكظوم ، فإن كان المعنى ، لا تكن مثل صاحب الحوت في هذه الحال ، أو هذا الوقت كان نهياً عن تلك الحالة (٣) .

ولما كان نداؤه مسبباً عن كونه صاحب الحوت ، فنهى أن يشبه به في الحال التي أفضت به إلى صحبتهِ الحوت وإلجائه إلى النداء ، وهو ضعف العزيمة وعدم الصبر لحكمه تعالى، ولم يقل تعالى: ولا تكن بصاحب الحوت ؛ إذ

---

(١) أي: إن كان تكسر حد سيوفهم من مقارعة الجيوش عيباً ، فلا عيب فيهم غيره ، ومن المعلوم أنه ليس عيب.

(٢) ينظر: التفسير القيم: ٤٩٨.

(٣) ينظر: الكشاف: ٤/٤٥١ ، البحر المحيط: ٨/٣١٠-٣١١.

ذهب مغاضباً فالتقمه الحوت ، فنادى ، بل طوى القصة واختصرها ، وأحال بها على ذكرها في الموضع الآخر ، واكتفى بغايتها وما انتهت إليه [١] .

قيل:هذا المعنى ، وإن كان صحيحاً ، فلم يقع النهي عن التشبيه به في مجرده ، وإنما نهى عن التشبه به في الحال التي حملته على ذهابه مغاضباً حتى سجن في بطن الحوت [٢] .

ويدل عليه قوله تعالى: (**فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ**) ثم قال تعالى: (**وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ**) أي:في ضعف صبره لحكم ربه ؛ فإنَّ الحالة التي نهى عنها هي ضد الحالة التي أمر بها [٣] .

وقد ذم الله تعالى من لم يتضرع إليهِ. ولم يستكن لهُ وقت البلاء [٤] .

سابعاً: الفاصلة القرآنية :

الفاصلة عبارة عن حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن أفهام المعنى وعدت فواصل القرآن بلاغة ، والأسجاع عيباً ؛ لأن الفواصل تابعة للمعنى. أما الأسجاع فالمعاني تابعة لها [٥] .

ويرى الدكتور فاضل السامرائي: «أنَّ القرآن الكريم لا يعنى بالفاصلة على حساب المعنى ولا على حساب مقتضى الحال والسياق بل هو يحسب لكل ذلك

---

(١) المصدر السابق: ٤/٤٥١.
(٢) ينظر: التفسير القيم: ٤٩٩.
(٣) ينظر: التفسير القيم: ٥٠٠.
(٤) ينظر: المصدر السابق: ٥٠٠.
(٥) ينظر: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: ٨٩، وإعجاز القرآن للباقلاني: ٨٣ ، والإتقان: ٣/٢٩٠ ، ومن بلاغة القرآن: ٧١.

حسابه فهو يختار الفاصلة مراعى فيها المعنى والسياق والجرس ، ومراعى فيها خواتم الآي ، وجو السورة، ومراعى فيها كل الأمور التعبيرية والفنية الأخرى بل مراعى فيها إلى جانب ذلك كله عموم التعبير القرآني وفواصله بحيث تدرك أنه اختار هذه الفاصلة في هذه السورة لسبب ما ، واختار غيرها أو شبيهاً بها في سورة أخرى لسبب دعا إليهِ.

وجمع بين كل ذلك ونسقهُ بطريقة فنية في غاية الروعة والجمال حتى كأنك تحس أنها جاءت بصورة طبيعية غير مقصودة مع إنها في أعلى درجات الفن والصياغة والجمال فما أجله من كلام وما أعظمهُ من تعبير » [١] .

ونجد ذلك واضحاً في قولهِ تعالى: **(وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ)** [إبراهيم : ٣٤].

وقولهِ: **(وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ اللّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ)** [النحل : ١٨].

يرى ابن القيم: إنَّ سورة إبراهيم خصت بوصف المنعم عليهِ ، وسورة النحل بوصف المنعم ؛ لأنه في سورة إبراهيم في مساق وصف الإنسان ، وفي سورة النحل في مساق صفات الله وإثبات إلوهيتهِ. فجاء كل تعبير في مكانه المناسب للسياق فضلاً عن الفاصلة [٢] .

وقد ذكر ابن الزبير ما فسره ابن القيم وزاد بتفصيل المسألة بقوله: «إنَّ آية إبراهيم تقدمها قولهِ تعالى: **(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَةَ اللّهِ كُفْراً وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ**

---

(١) التعبير القرآني: ٢١١.

(٢) ينظر: التفسير القيم : ٣٢١ ، والكشاف: ٤١٠/٢ ، ٤٤١ ، معترك الأقران: ٤٤/١.

دَارَ الْبَوَارِ) [إبراهيم : ٢٨] ، ثم قوله: (وَجَعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِ) [سورة إبراهيم: ٣٠] ، ثم ذكر أنعامه على عباده في قوله: (اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ) [سورة إبراهيم: ٣٢] إلى قوله: (وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ) [سورة إبراهيم: ٣٤].

فناسب ما ذكره تعالى من توالي أنعامه ودرور إحسانه ومقابلة ذلك من العبيد بالتبديل ، وجعل الأنداد وصف الإنسان بأنه ظلوم كفار ، أما آية النحل فلم يتقدمها غير ما نبّه سبحانه عباده المؤمنين من توالي آلائه وإحسانه ، وما ابتداؤهم به من نعمة من لدن قوله: (وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ) [سورة النحل: ٥].

فذكر تعالى بعضاً وعشرين من أمهات النعم إلى قوله فيها ، وموقظاً من الفضلة والنسيان: (أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ) النحل : ١٧] ، ثم أتبع بقوله سبحانه: (وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا) [سورة النحل: ١٨]. فناسب ختام هذا قوله: (إِنَّ اللّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ)[النحل : ١٨]» [(١)].

ثامناً: حسن الاختصار والإيجاز :

هذا واضح في قوله: (وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً)[المزمّل : ٨].

---

(١) ملاك التأويل: ٢/٧١٩-٧٢٠.

«التبتل: الانقطاع ، وهو تفعَّل من البتْل ، وهو القطع. وسميت مريم: البتول لانقطاعها عن الأزواج ، وعن نظراء نساء زمانها ، فقامت نساء الزمان شرفاً وفضلاً ، وقطعت منهن» [١] .

وأضاف: «ومصدر تبتل إليه تبتيلاً كالتعلُّم والتفهم ، ولكن جاء على التفعيل مصدر تفعل لسر لطيف [٢] » [٣] .

فإن في هذا الفعل إيذاناً بالتدريج والتكلف والتعمل والتكثر والمبالغة ، فأتى بالفعل الدال على أحدهما ، وبالمصدر الدال على الآخر ، فكأنه قيل: بَتّل نفسك إلى الله تبتيلاً. وتبتل إليه تبتيلاً. ففهم المعنيان من الفعل ومصدره. وهذا كثير في القرآن. وهو من حسن الاختصار والإيجاز [٤] .

ورأي الزمخشري:«أنه جيء به على معناه مراعاة على حق التواصل»[٥] .

(١) التفسير القيم: ٥٠١.
(٢) لعل في الكلام حذفاً والمعنى المراد:هو أنَّ بتل مصدر التبتل كالتعلم وأما التبتيل فهو مصدر تبتل بالتشديد. وقد جاء في الآية مصدر التبتيل ، والحكمة في ذلك: ما ذكره من الجمع بين مبنى صيغة التفعل ، الذي هو التكلف والتكثر ، ومعنى صيغة التفعيل وهو التدرج. والله أعلم .
(٣) التفسير القيم: ٥٠١.
(٤) المصدر السابق: ٥٠١–٥٠٢ ، ومدارج السالكين: ٢/١٥.
(٥) الكشاف: ٤/٤٨١.

تاسعاً: بديع القياس والتمثيل

وذكر ابن القيم مثال على هذا قوله تعالى: **فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ**) [سورة المدثر: ٤٩-٥١].

هنا شبههم في إعراضهم ونفورهم عن القرآن بحمر رأت الأسد أو الرماة ففرت منه، وهذا بديع القياس والتمثيل ، فإن القوم في جهلهم بما بعث الله به رسوله كالحمر ، وهي لا تعقل شيئاً. فإذا سمعت صوت الأسد أو الرامي نفرت منه أشد النفور ، وهذا غاية الذم لهؤلاء. فإنهم نفروا عن الهدى الذي فيه سعادتهم وحياتهم. كنفور الحمر عما يهلكها ويعقرها.

وتحت (المستنفرة) معنى أبلغ من النافرة ، فإنها لشدة نفورها قد استنفر بعضها بعضاً ومعنّه على النفور ، فإن في الاستفحال من الطلب قدراً زائداً على الفعل المجرد. كأنها تواصت بالنفور وتواطأت عليهِ [١] .

(١) التفسير القيم: ٥٠٣ ، وينظر: الكشاف: ٤/٤٩٤.

الخاتمـة

توصل الباحث في بحثه إلى جملة من النتائج وهي كالآتي:-

١. إنَّ الإمام ابن قيم الجوزية يعد واحداً من أهم المفسرين لكتاب الله العظيم، فلا عجب مما يمتلكه من العلم الراسخ ، والنظر الثاقب في علم الدين ، ولاسيما في علوم الحديث والسنة ، والاطلاع على أسرار التشريع ومقاصده ، والإلمام بنفسية البشر ، وطبائع الأمم ، وكونه تتلمذ على يد العلامة شيخ الإسلام الحافظ ابن تيمية الحراني – رحمهُ الله تعالى – .

٢. كان ابن قيم الجوزية عالماً فاضلاً كثير المعرفة واسع الاطلاع ، مولعاً بقراءة الكتب واقتنائها ، فحصل لهُ من ذلك ثقافة واسعة ، وقدرة على التأليف ، وقد خلَّف لنا مكتبة كبيرة في مختلف العلوم ، تجاوزت السبعين مؤلفاً ما بين مطبوع ومخطوطة -كما مرَّ التعريف بها في التمهيد -.

٣. إنَّ «التفسير القيم ، للإمام ابن القيم» جمعهُ العلامة المحقق الشيخ محمد أويس الندوي ، وبذل فيه جهوداً مشكوراً عليها ، فقرأ المطبوع من مؤلفات الإمام الحافظ ابن القيم ، ثم استخرج منها هذه المجموعة القيمة من التفسير ، وهي -وإن كانت لم تستوعب تفسير القرآن كله – ولكنها نموذجاً صالحاً ، يستطيع من تدبرها حق التدبر أن ينتفع بها يحذو حذوها ، ويسهل عليه بها فهم القرآن كله. قام (محمد حامد الفقي) بتحقيق كتاب «التفسير القيم ، للإمام ابن القيم».

٤. وجدنا في باب التقديم والتأخير ضمن علم المعاني أنَّ العلامة الإمام ابن القيم يقول عنه فيما يخص قولهِ تعالى(**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**)أنَّ

تقديم العبادة على الاستعانة في الفاتحة من باب تقديم الغايات على الوسائل ، إذ العبادة غاية العباد التي خُلقوا لها والاستعانة وسيلة إليها.

٥. كان ابن القيم يفسر الآية القرآنية بتوضيح معاني مفرداتها ليبصر المعنى مثلما جاء فيما يخص قوله تعالى: **(أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا)** [محمد : ٢٤] ، قائلاً: «تأمل تنكير القلوب وتعريف الأقفال فضلاً عن ضمير القلوب ، فإن تنكير القلوب يتضمن إرادة قلوب هؤلاء وقلوب من هم بهذه الصفة ، ولو قال: أم على القلوب أقفالها ، لم تدخل قلوب غيرهم في الجملة».

٦. إنَّ ابن القيم يُدعم تفسيره بشواهد قرآنية في مواضع أخرى تشترك مع الآية المدروسة ، وهذا مثل توضيحه تفسير: **(اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ)** كيف أنَّ الصراط جاء معرف تعريفين تعريفاً باللام ، وتعريفاً بالإضافة ، وذلك مما يقيد تعينه واختصاصه ، وأنه صراط واحد ويذكر قوله تعالى: **(وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ)** ، التشبيه ضمن علم البيان.

٧. وصف ابن قيم الجوزية الكناية في قوله تعالى: **(أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً)** بقوله: «مطابقة المعقول فيه للمحسوس» فلهذا يوجب العقل الفطرة والحكمة أن يكونوا أشد شيء نفرة كما هو نظيره ومشبهه.

٨. تنوعت الأساليب البديعية فيما يخص المحسنات المعنوية في التفسير القيم لابن القيم ما بين (طباق ، وجناس ، ومقابلة ، ومشاكلة ، ومراعاة النظير ، وتأكيد المدح بما يشبه الذم ، وحسن الاختصار والإيجاز ، وبديع القياس والتمثيل ، فضلاً عن الفاصلة القرآنية) ، والحمد لله في الأول والآخر .

المصــادر والمراجــع

❖ القرآن الكريم

١. ابن القيم الأديب النحوي – د. علي عبود الساهي ، جامعة بغداد ، كلية الشريعة ، ١٤٠٨هـ–١٩٨٨م ، د. ط .
٢. أسرار البلاغة في علم البيان – عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) صححها:السيد محمد رشيد رضا،دار المعرفة ، بيروت ، (د.ت) .
٣. إعجاز القرآن – لأبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني (ت ٤٠٣هـ) ، تحقيق: السيد أحمد صقر ، دار المعارف ، مصر ، ط٤ ، ١٩٧٧م.
٤. إعراب القرآن وبيانه – تأليف الأستاذ محيي الدين الدرويش ، دار اليمامة للطباعة والنشر ، ودار ابن كثير ، دمشق – بيروت ، ط٧ ، ١٤٢٣هـ– ٢٠٠٢م.
٥. أعلام الموقعين عن رب العالمين– ابن قيم الجوزية ، (ت ٧٥١هـ) ، نشر مع كتاب حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح أيضاً ، مطبعة فرج الله زكي الكردي ، القاهرة ، (د.ت) .
٦. الإتقان في علوم القرآن – جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار التراث ، القاهرة ، ط٣ ، ١٤٠٥هـ.
٧. الأعلام – خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٤ ، ١٩٧٩م.

٨. الإيضاح في علوم البلاغة – محمد بن عبد الرحمن القزويني (ت ٧٣٩هـ) ، شرح الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي ، جزءان ، الشركة العالمية للكتاب ، بيروت – لبنان، ط٣ ، ١٩٨٩م.
٩. البحر المحيط – محمد بن يوسف أبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) ، دراسة وتحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ومجموعة من الأساتذة ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ٢٠٠١م.
١٠. البداية والنهاية في التاريخ – لابن كثير أبي الفداء إسماعيل بن عمر (ت٧٧٤هـ) ، طبع في القاهرة ، ١٣٥٨هـ.
١١. البرهان في علوم القرآن – بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الجيل ، بيروت ، ط٣ ، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.
١٢. البيان الحديث في علوم البلاغة والعروض– روز غريب ، بيت الحكمة، بيروت – لبنان ، ط٢ ، ١٩٦٩م.
١٣. البيان والتبيين – أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) ، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر ، مطبعة المدني ، ط٥ ، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.
١٤. التحرير والتنوير – الشيخ محمد الطاهر بن عاشور (ت ١٩٧٣هـ) ، الدار التونسية للنشر ، ١٩٨٤م.
١٥. التسهيل في علوم التنزيل – محمد بن أحمد بن جزي الكلبي (ت ٧٤١هـ) ، دار الفكر ، لبنان ، ط٣ ، ١٩٨٣م.

١٦. التعبير القرآني– الدكتور فاضل صالح السامرائي ، بيت الحكمة ، بغداد، ١٩٨٩م.
١٧. التفسير القيم لابن القيم (٦٩١–٧٥١هـ) – جمعه: محمد أويس الندوي،حققه: محمد حامد الفقي ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م.
١٨. التفسير الكبير – للإمام فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ) ، بإشراف عبد الرحمن محمد ، المطبعة المصرية ، ط٣ ، ١٩٦٥م.
١٩. التلخيص في علوم البلاغة – جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني (ت ٧٣٩هـ) ، شرح عبد الرحمن البرقوقي ، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، ط٢ ، ١٩٣٤م.
٢٠. الجامع لأحكام القرآن – محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت ٦٧١هـ) ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ط١ ، ١٣٨٧هـ – ١٩٦٧م.
٢١. الجواب الكافي لمن سال عن الدواء الشافي أو الداء والدواء – الإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن قيّم الجوزية (ت ٧٥١هـ) تحقيق بشير محمد عيون ، مكتبة دار البيان ، ط٣ ، ١٤٢٢هـ ، ٢٠٠١م .
٢٢. الحيوان – أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) ، تحقيق وشرح:عبد السلام محمد هارون ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٦٩م.

٢٣. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون – احمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي (ت ٧٥٦هـ) تحقيق : د.احمد محمد الخرّاط ، دار القلم ، دمشق (د.ط.) (د.ت.) .
٢٤. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة – لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) ، طبع في حيدر آباد الدكن (١٩٤٥م) ، وتحقيق: محمد جاد الحق ، ط٢ ، القاهرة ، ١٩٦٦م.
٢٥. الصواعق المرسلة على الجهينة والمعطلة – الإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن قيّم الجوزية (ت ٧٥١هـ) تحقيق : د. علي بن محمد الدخيل الله ، دار العاصمة ، الرياض ، ط٣ ، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م .
٢٦. الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز – يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليمني (ت ٧٤٩هـ) ، مطبعة المقتطف، مصر، ١٣٣٢هـ–١٩١٤م ، ودار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٢م.
٢٧. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل – للإمام محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٢٨هـ) ، ضبط وتحقيق: أبي عبد الله الداني بن منير آل زهوي ، دار الكتاب العربي ، بيروت – لبنان ، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.
٢٨. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر – ضياء الدين ابن الأثير (ت ٦٣٧هـ) ، تحقيق: د. أحمد الحوفي والدكتور بدوي طبانة ، منشورات دار الرفاعي ، الرياض ، ط٢ ، ١٩٨٣م.
٢٩. الميسر في البلاغة العربية – لأبي عبد الله ابن شعيب الجزائري ، دار الهدى للطباعة والنشر ، عين مليلة ، الجزائر ، ط١ ، ١٩٩٢م.

٣٠. النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن – علي بن عيسى الرماني (ت ٣٨٤هـ) ، تحقيق: محمد زغلول سلام ومحمد خلف الله ، دار المعارف ، مصر ، ط٢ ، ١٩٦٨م.
٣١. الوافي بالوفيات – صلاح الدين خليل ايبك الصفدي ، تحقيق : محمد بن ابراهيم بن عمر ، ومحمد بن الحسيني بن محمد ، باعتناء : س. ديدرينغ ، دار النشر ، فر ائز بفيسبادن ، ط٢ ، ١٩٧٤م .
٣٢. أمثال القرآن – لابن قيم الجوزية الإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر (ت٧٥١هـ) ، دراسة وتحقيق: الدكتور موسى بناي علوان العليلي ، مطبعة الزمان ، بغداد ، ١٤٠٧هـ–١٩٨٧م.
٣٣. أنوار التنزيل في أسرار التأويل – ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي الشيرازي(ت ٧٩١هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٨٨م.
٣٤. بدائع التفسير الجامع لما فسره ابن قيّم الجوزية – جمعه يسري السيد محمد ، وراجعه ونسق مادته صالح احمد الشامي ، دار ابن الجوزي ، ط٢ ، ١٤٢٧هـ .
٣٥. بديع القرآن – لابن أبي الأصبع المصري (ت ٦٥٤هـ) ، تحقيق الدكتور حفني محمد شرف ، مطبعة الرسالة ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٥٧م.
٣٦. بغية الوعاة في طبقات النحاة – جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) ، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٩٦٤م.

٣٧. تاج العروس من جواهر القاموس – محمد مرتضى الزبيدي الحسيني (ت١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من الأساتذة ، طبعة الكويت ، تاريخ الطبع ، ١٤٩٦هـ – ٢٠٠٢م.
٣٨. تاريخ آداب اللغة العربية–لجرجي زيدان،مطبعة دار الهلال،(د.ت).
٣٩. جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب – د. ماهر مهدي هلال ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٩٠م.
٤٠. جواهر البلاغة – تأليف: السيد أحمد الهاشمي (١٢٩٥–١٣٦٢هـ) ، قرأه وقدم له الدكتور يحيى مراد ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، ط١ ، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٥م.
٤١. دلائل الإعجاز في علم المعاني–عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) ، تعليق: محمود محمد شاكر ، مكتبة الخانجي ، مصر ، (د.ت).
٤٢. ذيل طبقات الحنابلة – ابن رجب الحنبلي (ت ٦٤٥هـ) صححه محمد حامد الفقي ، مطبعة السُنة المحمدية ، ١٣٧٢هـ – ١٩٥٢م (د.ط.)
٤٣. روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني – شهاب الدين السيد محمود البغدادي الآلوسي(ت ١٢٧٠هـ)،دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، (د.ت) .
٤٤. روضة المحبين ونزهة المشتاقين – لابن قيم الجوزية ، مطبعة الترقي ، دمشق ، ١٣٤٩هـ.
٤٥. شذرات الذهب في اخبار من ذهب – للاديب ابي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ) دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، (د.ط.) (د.ت.) .

٤٦. صحيح البخاري – لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، (د.ت) .
٤٧. طبقات المفسرين – تأليف أحمد بن محمد الأسنوي – تحقيق: سليمان بن صالح الخزي ، مكتبة العلوم والحكم ، السعودية ، ط١ ، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.
٤٨. علل الاختيار في تفسير البحر المحيط – الدكتور دريد حسن أحمد – مطبعة المجمع العلمي العراقي ، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.
٤٩. علم البديع – د. اسعد جاسم الاحمد ، دار الفرائد ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٩ .
٥٠. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير – محمد بن علي الشوكاني(ت ١٢٥٠هـ)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ط٢ ، ١٩٦٤م.
٥١. فن البديع – د. علي نجم احمد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٧م .
٥٢. فن البلاغة : الدكتور عبد القادر حسين ، دار غريب للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٣م.
٥٣. لسان العرب – محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي (ت ٧١١هـ) ، دار صادر ، بيروت – لبنان ، ط٢ ، (د.ت.) .
٥٤. لمسات بيانية في نصوص من التنزيل – تأليف الدكتور فاضل صالح السامرائي ، شركة العاتك للطباعة والنشر ، القاهرة ، ط٢ ، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م.

٥٥. مسند الإمام أحمد بن حنبل(ت ٢٤١هـ) – المطبعة اليمنية ، بيروت ، ط٢ ، وطبعة دار المعارف ، بتحقيق: أحمد شاكر ، ط٣ ، ١٩٥٨م.
٥٦. معترك الأقران في إعجاز القرآن–جلال الدين السيوطي(ت ٩١١هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي ، دار الفكر ، القاهرة ، ١٩٧٣م.
٥٧. معجم البلدان – لياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ) ، دار صادر للطباعة ، بيروت ، ١٩٥٥م.
٥٨. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها – د. أحمد مطلوب ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، ج١ ، ١٩٨٣م ، وج٢ ، ١٩٨٦م ، وج٣ ، ١٩٨٧م.
٥٩. مفتاح العلوم : لأبي يعقوب محمد بن علي السكاكي (ت ٦٢٦هـ) ، مطبعة المكتبة العلمية الجديدة ، بيروت ، (د.ت) .
٦٠. ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل – أحمد بن الزبير الغرناطي (ت ٧٠٨هـ) ، تحقيق: د. كامل أحمد ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.
٦١. من بلاغة القرآن:محمد الخضر حسين ، مطبعة علي التونسي ، مصر ، ط٢ ، ١٩٨٥م.
٦٢. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور – برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي (ت٨٨٥هـ) ، تحقيق: محمد عبد المعين خان ، طبعة مجلس المعارف الإسلامية ، حيدر آباد ، الدكن – الهند ، ط١ ، ١٩٦٩م.

الرسائل والأطاريح الجامعية :

١. الأساليب البلاغية في تفسير نظم الدرر في تناسب الآيات والسور – للبقاعي (ت ٨٨٥هـ) – (أطروحة دكتوراه) ، عقيد خالد العزاوي ، كلية التربية / ابن رشد ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٢م.
٢. البناء النحوي في المثل القرآني – (رسالة ماجستير) ، محسن طاهر اسكندر – كلية الآداب – جامعة البصرة ، ٢٠٠١م.
٣. التوجيه البياني للتعبير القرآني عند الدكتور فاضل صالح السامرائي – (رسالة ماجستير) ، معد جمعة الدليمي ، كلية التربية – جامعة ديالى ، ٢٠٠٥م.
٤. الحمل على غير الظاهر في الدراسة النحوية (أطروحة دكتوراه) – عبد اللطيف سالم محفوظ باخبازي ، كلية الآداب – الجامعة المستنصرية ، ٢٠٠١م.